الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائـري

تمثّلات الهوية وصورة الآخر في الخطاب الرّحلي الجزائري الحديث
– جنائن الشّرق الملتهبة رحلة في بلاد الصّقالبة لسعيد خطيبي –

مقدّمة من قبل:

الطالب (ة): **سعاد بن رجم**

الطالب (ة): **نسيمة بوسطحة**

أمام اللجنة المشكّلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
نادية موات	أستاذة التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
أحلام عثامنية	أستاذة محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقرّرا
سهيلة سلطاني	أستاذة مساعدة	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023/ 2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

أتقدّم بخالص الشّكر والعرفان إلى أستاذتنا الفاضلة الدّكتورة "أحلام عثامنية" الّتي كان لنا الشّرف الكبير بأنْ تتولّى الإشراف عَلَى هَذِهِ الدّراسة والتي منحتنا ثقتها، وَلَمْ تبخل علينّا بنصائحها القيّمة. ونشكرها بالأخصّ على المجهودات الّتِي بذلتها فِي إطار متابعتها الدّائمة لهذا العمل، وتعهدّه بالتّصويب فِي جميع مراحل إنجازه، كما وزوّدتنا بالتّوجيهات والإرشادات التي أضاءت أمامنا سبيل البّحث فجزاها الله عنّا خيرًا.

مقدمة

شكّل أدب الرّحلة رافدا من روافد الأدب العربيّ على مرِّ التّاريخ، كونه يحمل موضوعا ممُتعا، وشيّقا للرّحالة الذين وظّفوا ما انتابهم من مشاعر، وأحاسيس وعبرّوا عن انطباعاتهم الفكريّة، إضافة إلى معارفهم المتعدّدة، بذلك أصبحت الرّحلة بعد تدوينها مزيجا من المعارف المتنوّعة، يجد فيها الباحث ضالّته الأدبيّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والدّينيّة، فهي نصّ جامع لمجموعة من الاختصاصات العلميّة، والمعرفيّة.

كان للرّحالة الجزائريّون نصيبا من هذا الجنس الأدبيّ النثّري، الذي لم يخلُ من تشكيل صورة عن الآخر، وعن الذّات في الآن نفسه، حيث لقيّت هذه القضيّة رواجا في مواضيع الرّحالة الجزائريين في العصر الحديث، ومن هنا ارتأينا أن نصوغ تصوّر البحث تحت عنوان " **تمثّلات الهويّة وصورة الآخر في الخطاب الرّحلي الجزائري الحديث – جنائن الشرق الملتهبة رحلة في بلاد الصّقالبة لسعيد خطيبي** ".

وهو موضوع ذو أهميّة كبيرة لأنّه يتناول التّعريف بأدب الرّحلة في الجزائر، والفترة التي انتشر فيها، والوقوف على أهمّ قضيّة شغلت الأدباء في العصر الحديث، ألا و هي **الأنا (الذّات) والآخر**، من خلال تنقُّل الأنا العربيّ نحو بلاد الآخر الغربي، للتّعرف على عاداته، وثقافته، ولغته، مجسّدا ذلك بتأليفه لرحلة استكشافية تُعرّفنا بعالم آخر يختلف عن عالم الأنا (الذّات)، ويعكس لنا صورة الأنا من خلال الآخر .

وقد وقع اختيارنا على رحلة **"جنائن الشرق الملتهبة رحلة في بلاد الصقالبة"** لسعيد خطيبي لاحتوائها على رحلات عديدة، عكست صورة الآخر وحياته، من خلال المناطق المختلفة التي زارها، وما دوّنه عنها.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع بالذّات:

1/ الرّغبة في دراسة هذا الفن، ومدى انتشاره وإقبال الأدباء عليه في الجزائر.

2/ التعرّف على صورة الذّات (الأنا) والآخر في الرّحلة الجزائريّة الحديثة .

3/ الإعجاب بلغة الرّحالة "سعيد خطيبي" الشيّقة والممتعة .

ومنه يمكننا أن نصوغ إشكاليّة البّحث في التّساؤل الآتي :

- **كيف تجلّت ثنائيّة الهويّة والآخر في رحلة "جنائن الشّرق الملتهبة" لسعيد خطيبي؟**

وتتفرّع عنها عدّة تساؤلات نذكر منها:

-كيف تجسّدت هويّة الرّحالة من خلال رحلته؟ وما هي أبرز القضايا التي تطرّق إليها؟

- كيف صوّر لنا الآخر في رحلته ؟ وفيم يشبهنا ؟وفيم يختلف عنّا؟

وتكمن أهميّة هذا الموضوع في تسليط الضّوء على قضيةّ مهمةّ، ألا وهي "تمثّلات الهويّة" و"صورة الآخر المختلف" في الرّحلة الجزائريّة الحديثة.

ولإنجاز هذا البحث سَطَّرْنَا مجموعة من الأهداف منها:

- **معرفة العوامل التي تتحكّم في تشكّل العلاقة بين "الهويّة" و"الآخر".**

ولتحقيق الهدف الذي توخّيناه من هذا البحث، والإجابة عن هذه التّساؤلات رأينا أن نُقسّم مضامينه إلى: مقدّمة، وثلاثة فصول: الأوّل منهم نظريّ، والفصلين الآخرين تطبيقيين، وأخيرا خاتمة يليها المُلحق إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

عُنون **الفصل الأوّل النّظريّ** بـ" **مفاهيم ومصطلحات عامة**" تناولنا فيه:" مفهوم الرّحلة (لغة واصطلاحا)، مفهوم أدب الرّحلة، أدب الرّحلة عند الجزائريين خلال العصر الحديث، مفهوم الهويّة(لغة، واصطلاحا)، مفهوم الآخر(لغة ، واصطلاحا)، العلاقة بين الأنا الآخر.

أمّا الفصل الثّاني فسميناه بـ" **تمثلّات الهويّة في " رحلة جنائن الشرق الملتهبة" لسعيد خطيبي،** الذي تطرقّنا فيه إلى الهوية من خلال" الذّات المثقّفة"، " الذّات والطّفولة"، " الذّات والوطن"، "الذّات الاجتماعيّة "، "الذّات المُرتحلة".

وكان **الفصل الثّالث** بعنوان: **"صورة الآخر في الرّحلة"** رصدنا فيه: "القضايا العمرانيّة"، "القضايا التاريخيّة"، "القضايا الثّقافيّة"، "القضايا الدينيّة"، " إيجابيات المجتمع البلقاني وسلبياته".

ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج الوصفي، كونه يتلاءم وطبيعة الموضوع من خلال تتبّع أفكار الكاتب، ومضامين رحلاته.

وأمّا فيما يخصّ المراجع التي اعتمدناها في هذا البحث فقد استعنّا بمجموعة منها:

-" **الأنا والآخر في أدب الرّحلة (دراسة نقديّة مقارنة)** لـ مكّي سعد الله.

- **الذّات والآخر فِي الرّواية السّوريّة** لإبراهيم خليل الشّبْلي .

- **اتّجاهات الرحالين الجزائريين في الرّحلة العربيّة الحديثة** لعمر بن قينة.

وفيما يتعلّق بالدّراسات السّابقة لموضوعنا نذكر مقال بعنوان: " **عين على الصّقالبة عين على الذّات قراءة في رحلة جنائن الشّرق الملتهبة رحلة في بلاد الصّقالبة " لمحمود العشيري .**

لا يمكننا أن نغفل الصّعوبات التي واجهتنا في أثناء إنجاز هذا البحث، والتي كانت سلاحا ذو حدّين؛ فقد كانت سببا في عرقلة بحثنا كضيق الوقت وانشغالنا وقلّة المراجع، إضافة إلى ابتعادنا عن

الدراسة لفترة طويلة، ولكن كل تلك العراقيل –وبتوفيق من الله– تحوّلت إلى حوافز عملت على تشجيعنا لإتمام بحثنا في الوقت المحدّد.

وفي الختام لا يَسعُنا إلاّ أن نتقدّم بالشّكر الجزيل لأستاذتنا الفاضلة المشرفة على هذا البحث: الدّكتورة "**أحلام عثامنية** " التّي غمرتنا بتوجيهاتها، وملاحظاتها القيّمة .

ونتقدم، أيضا، بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة على تجشّمها عناء قراءة هذا البحث، وتقويم أخطائه وهفواته.

ونتوجه بالشكر أيضا للآساتذة قسم اللغة و الأدب العربي ممثلة في رئيسها الأستاذ الدكتور "**صالح طواهري**" .

لئن أخذ هذا البحث صيغته النّهائيّة، فإنّنا لا ندّعي كماله أو خلوّه من كلّ عيب لذلك فإنّ أصبنا فبتوفيق من الله – جلّ وعلا–، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وعُذرنا الوحيد أنّنا كنّا نروم إلى الصّواب واجتهدنا إلى تحقيقه.

الفصل الأولّ: مفاهيم ومصطلحات عامة

أولا: مفهوم الرّحلــة

1-لغة

2-اصطلاحا

ثانيا: مفهوم أدب الرّحلـة

ثالثا: أدب الرّحلة عند الجزائريين خلال العصر الحديث

رابعا: مفهوم الهويّــة

1-لغة

2-اصطلاحـا

خامسا: مفهوم الآخــر

1-لغـة

2-اصطلاحـا

سادسا: العلاقة بين الانا والآخر

توطئة:

خَلَقَ اللهُ الإنْسَانَ مُحِبًّا لِلْحَرَكَةِ والتنقّلِ، وَأَمَدَّهُ بالعَقْلِ الَّذِي يدْعُوهُ لِتِلْك، والجِسْمُ القَوِيُّ الرَّشِيقُ الَّذِي يُعِينُه على الانْتِقَال مِنْ مَوْضِعٍ لآخَر، والحَرَكَةُ هِيَ رُوحُ الحَيَاةِ وسِمَةٌ أَسَاسِيّة فِي التركيب الجَسَدِي والنّفسي للإنْسَان، وقَدْ هَيّأَهُ اللهُ لهَا، وجَعَلَهَا إمكانيّة ضَرُوريّة لِحَيَاتِهِ تتسّقُ مَعَ الغايَة الّتِي خُلِقَ لَهَا، وَهِيَ تَعْمِيرُ الأرض، وعِبَادَة الله.

تشِيرُ الدّراسات التّاريخيّة والأنثروبولوجيّة إِلَى أنّ الإنْسَان لَمْ يتوقّف عَنِ الحركَةِ والسّير، فظلَّ عَلَى مَدَى العُصُور يتطلّعُ بعينَيْهِ إِلَى الآفاقِ البعيدة، ولا يكفّ عَنِ التّفكير فِيما تضمنه الخلق والمَوْجودات من كنُوزٍ وخَيْرَاتٍ خاصّة حين تضِيق به الحال، وَمَعَ تقدّم الوَعي وتجدّد الحاجات تَزْداد رَغْبَتَه فِيْ السّؤال، وفِي الانتقال والتّرحال.

والحقّ أن الإنسان مُنْذُ أَنْ يُولد حَتّى يَمُوت فِي رَحَلاَت دَائبة تتعدّد أشكالها بمرور الأيّام وتتغيّر الظّروف والأحوال، بَلْ إنّ لحظات ميلادِهِ تُعَدّ رحلة من رحم الأمّ إِلَى دُنيا البَشَر، ومَا وفاته ودَفْنه إلاّ رحلة يَنتقل فِيها منْ دنيا البَشَر إِلَى رَحِم الأرضِ تمهيدًا لرحلة نهاية سرمديّة تَبْدأ يوم النّفخ فِي الصُّورِ، وبَيْن الرّحلتين هُناك رَحَلات مُتَبَاينة ومُتَنَوّعَة.

أوّلا/مفهوم الرّحلة:

أ) لغة:

حَظيت مَادة "**ر ح ل**" بشَرْحٍ وَافٍ فِي عديد مِن المعَاجِمِ العربيّة، فقد جاء فِي لِسَان العرب: "**التّرحِيل والرّحال بمَعْنى الإشْخَاص والإزْعَاجْ، يُقَالُ: رَحَلَ الَّرجلُ إذا سَارَ، وَأَرْحَلْتُه أَنَا. وَرَجُل رحُولٌ وَقَوْمٌ رُحَّلٌ: أيْ يَرْتَحِلُون كثِيرًا، ورَجل رَحَّال: عَالِمٌ بِذَلك مُجِيد له...**"[1].

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، مج 3، ج 18، ص1609.

فالرحلة هُنا بمعنى السّير، ووَرد لفظ "الرّحلة" فِي موضعٍ آخر بمعنى الانْتِقال مِنْ مَكَانٍ لآخر **"الترّحل والارْتِحَال: الانْتِقال من مكان لآخر " الترّحُلُ والارتِحَال: الانتقِال ، وهُوَ الرِّحْلَة والرَّحْلَةُ اسم لِلْارْتِحَالِ للمَسِيرِ.."**[1]. فالبحث عن ماهية الفعل **"رَحَلَ"** أثْمَرَ عن وجُودِ عَلاَقَةٍ كبِيرَةٍ بين فعل الارْتحال ووسَائِلِهِ.

ونظرًا لارْتباط السّفر بالوِجهة والوَسيلة فقد ميّزت العرب بين الرّحلةُ والارْتحَال "، وقالَ بعضهم **"الرِّحْلَةُ بالكَسْرِ الارْتِحَالُ والرُّحْلَةُ بالضّمّ الوَجْهُ الّذِي تَأْخُذُ فِيه وَتُرِيدُهُ، تَقُولُ أنْتُمْ رُحْلَتِي إِلَى الّذِينَ أرْتَحِلُ إلَيْهم وأَرْحَلَتِ الإبِل، سَمَنُتْ بَعْدَ هُزَالٍ فأطاقتِ الرّحْلَة..كما تَعْنِي السّفرة الوَاحِدَة"**[2]، ربَما تعدُّ الرّحْلَةُ سَفرة واحِدَة، كَوْن الأوُلى تُصْبِحُ وكَأنّها مَرْحَلَة انتقاليّة فِي حياة الرّحالة وَلَوْ كَانت هُناك رحْلة ثانية لَنْ يَكُون لَهَا الانْطباع نفسه بالنّسبة لنفسيّة الرّحالة.

وفِي معجم مقاييس اللّغة فما ارتبط بالرّحْلَةِ والتِّرْحال والارْتِحَال **"هُوَ أنّ الرّاء والحَاء واللاَم، أصْلٌ وَاحِدٌ يدُلّ عَلَى: مَضَى فِي السَّفَرِ، يُقَالُ رَحَلَ، يَرْحَلُ، رِحْلَةً وجَمَلٌ رَحِيلٌ: ذو رِحْلَةٍ، إِذَا كان قَوِيًّا عَلَى الرِّحْلَةِ والرّحْلَة: الارْتِحَالُ، فأمَّا الرَّحْلَ فِي قوْلِك: هَذَا رَحْلُ الرَّجُلِ، مَنْزِلُهُ وَمَأْوَاهُ، فهو مِنْ هَذَا، لأنَّ ذلك يُقَال فِي السّفَر لأسْبَابِهِ إِذَا سَافَرَ كانَتْ مَعَهُ، يَرْتَحِلُ بِهَا وإلَيْها عِنْد النّزول"**[3].

(1) ابن منظور، **لسان العرب** ، م س، ج 18، ص279.

(2)المصدر نفسه، ص ن.

(3) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زَكرياء، **معجم مقاييس اللّغة**، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1979 ، ص497.

وفي قاموس الفيروز أبادي:"**ارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا،كترحّلوا والاسم: الرِّحلة، بالضّم والكسر، أو بالكسر : الارتحال، وبالضّم الوجه الّذي تقصده، والسّفرة الواحدة**"[1] .

مع اختلاف تعاريف الرِّحلة إلا أنّها تصُّب في قالب واحد، وهي الوِجهة أو المقصد الذي يقصِده المرتحِل حتى يتطلَّع إلى ثقافات البلدان المختلفة.

وتكادُ تُجْمِعُ مَعَاجِم اللّغة العربيّة على التّعريف والدّلالة نفسها للفعل (رَحَلَ) ومَا اشتُقّ منه، فهي تكرّر المعارف ذاتها مع تقديمٍ أو تأخيرٍ بَسيط أو إضافة سطحيّة، فمشتقات مادة "**رَحَلَ**" كثيرة ومتعدّدة، وتدلّ كُلّها على الحركة، لأنّ الرّحْلَة فِي الحقيقة مَا هِيَ إلاّ "**حركة وانتقال**"[2] يبعث في الإنسان الحيّوية والنّشاط، ويعُودُ عَلَيْهِ بمنافع عدّة فِي مختلف مجالات حَيَاتِهِ عَلَى عكس السّكون الّذي يبعث فِي صاحِبِهِ الجمود والخمول والكَسَل.

ب- **اصطلاحا:**

تَعدّدت مفاهيم الرّحلة فِي الاصْطِلاح، إلاَّ أنّها تَصُبّ كُلّها فِي قَالبٍ وَاحِدٍ، فقد عَرَّفَها (**الغزالي**): "**بأنَّهَا نَوْع مُخَالَطَة مع زيَادَةِ تعب ومَشقة**"[3]جاعِلاً الرّحلة عبارة عَنْ احتكاك "**بالآخر**" بعد الجهد والتّعب النّاتجين عن الانْتِقَال عَلَى الرّغم مِنْ أنّهُ لَمْ يَذكر ذلك، لأنّه لابّد أنْ تكُون فِي الرّحلة انتقال وحركة حتّى تكون مخالطة، مُؤمِنًا بأنّه مهما تنوّعت تمظهرات الإنسان، واختلفت أشكال صُوَرِهِ وتوَاجُدِهِ فإنّه لا يستطيع العيش فِي عُزْلَةٍ دُونَ "**آخر**" يكون مِرْآة عَاكِسَة لِذَاتِهِ.

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: **قاموس المحيط**، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرّسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ، لبنان، ط8، 2005، ص1005.

(2) ناصر عبد الرزاق الموافِي، **الرّحلة فِي الأدب العربي حَتَى نهاية القرن الرّابع**، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995، ص23.

(3) أبو حامد أحمد بن محمّد الغزالي، **إحياء علوم الدّين**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1986، ج2، ص273.

فالرّحلة فِي أسَاسها لقاء مع "**الآخَر**"، وفِي اختلافاتِهِ وخُصُوصِيَّاتِهِ تَنْشَأ الكِتابة كفعل وحركة ذهنيّة، وهَذَا ما جَعَلَ الرّحْلَة عِبارة "**عَنْ مَجْمُوعَة مِنَ الآثَارِ الأدَبِيّةِ التّي تَتَنَاوَلُ انطِبَاعَاتِ المُؤَلِّفِ عَنْ رَحَلاَتِهِ فِي بِلادِ مُخْتَلفة، وَقَدْ يتعَرّضُ فِيها لِوَصْف مَا يَرَاهُ مِنْ عَادَاتِ وسُلُوك وأخلاق، وتسجيل دقيق لِلْمَنَاظِرِ الطّبيعيّة التِي يُشَاهِدُها، أو يَسْرُدْ مَرَاحل رِحْلَتِهِ مَرْحَلَة بمرحلة، أو يجمع بَيْن كُلّ هَذَا فِي آنٍ وَاحِدٍ**"[1].

ولا يقتصر السّفر على فعل الارتحال مَاديًّا، بَلْ إنّ السّفر يُعَادُ إنتاجه عَلَى مُسْتوى الكتابة، وإعَادَةِ المسَارِ سَرْدًا وَوَصْفًا هُوَ الّذِي يُشكّل فَنّ الرّحْلَةِ، ذلكَ أنَّ السّفر دُونَ تدوين، يُصْبِحُ انتقالاً وتِرْحَالاً عَاديًّا، فالكتابة هِيَ الّتِي تشكّل الصّورة السَّرْديّة والفعل الوَصْفِي السّردي، باعتبار أنَّ الرّحلة من الكتابات البصرية المعتمدة عَلَى النّظر الّذِي يُعَدّ الآلية التشكيليّة الأساسيّة للصّورة، وضمن هَذَا السّياق تنشأ الصّور الذهنيّة والاستعارات.

أمّا (**بطرس البستاني**) فيعرّفها بأنّها: "**انتقال واحد–أو جماعة–من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعدّدة**"[2]، لأنّ الرّحلة لا تكون من دون غرض معيّن، وإنّما يَكُون لهَا دَائمًا دافعًا سواءً كان ذلك الدّافع ذاتيًا يرتبط بالرّحالة فقط أو يكون دَافعًا عَامًّا متعَلّقًا بشؤون الأمّة كلّها.

من خلال تحديدنا لمفهوم الرّحلة فِي اللّغة والاصطلاح يتبيّن لَنَا أنّ المِفْهُومين يشتركان فِي مَعْنى وَاحِد وَهُوَ "**الحَرَكَةُ والانتقال**" والرِّحلة هي لون أدَبي ذُو طابع قصصي يَحْمل فائدة للمؤرخ والباحث والجغرافي، وعالم الاجتماع وغيرهم، وهي ضرب من السِّيَر الذّاتِيّة فِي مُوَاجهة الظرّوف والأوضاع واكتشاف المعَالم والأقطار ووصفها والحُكم عَلَيْها، فهي إذن: "**وصْف لكلّ ما انْطَبَع، فِي ذلك**

(1) مَجْدِي وَهْبة، كامل المهندس، **معجم المصطلحات العربيّة فِي اللّغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص17.

(2) بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1884، مج 8، ص564.

وسِوَاهُ فِي ذهْنِ الرّحَالة عبْر مَسَارِ رحْلَتِهِ، وفِي احتكاكِهِ بالمحيط، يتآزر فِي ذلك لواقع والخيال، وأسلوب القصّ، والحقائق العلميّة، والتّاريخيّة، والجغرافيّة، والاجتماعيّة، والنفسيّة ،وغيرها"[1].

وبهذا احتلّت الرّحلة مكانة متميّزة فِي التّراث العربي من طرف الباحثين والدّراسين على حد سواء وكرّست لها مجهودات كبيرة لمعرفة أصولها والكشف عن أسرارها، فهي تمثّل المتعة التي اسْتَهوت أذْهَان القرّاء والبَاحِثينَ .

فالرّحلة ليست سِوَى تجربة إنسانيّة حيّة يتُمرّس بها، حيث يُصبح أكثر فهمًا، وأصدق ملاحظة، وأغنى ثقافة، وأعمق تأملا.

ثانيا/ مفهوم أدب الرّحلة:

أدب الرّحلة فنّ ذو طابع قصصي، فِيه فائدة للمؤرّخ والباحث فِي الأدب، والجغرافيا، وعالم الاجتماع وغيرهم، كما أنّهُ ضرب من السّيرة الذّاتيّة فِي مُوَاجهة ظروف وأوضاع مختلفة، وفِي اكتشاف مَعَالم وأقطار، وبلدان، وَوَصْفِها وصْفًا دقيقًا متناهيًّا، لكل ما انطبع فِي ذهن الرّحالة عبر مَسَار رِحلته، وفِي احتكاكِهِ بالمحيط، يشترك في ذلك الواقِعُ والخيالُ، وأسْلُوب القصّ والحقائقِ العلميّة والتاريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة وغيرها.

وأدب الرّحلة يَرِدُ بتسميات أو مصطلحات مختلفة عند النّقاد والباحثين، وإنْ تعددت هَذِهِ التّسميات وتجاورت، فإنّها تَقَعُ عَلَى المحِيط الدّلالي لدَائرة أدبيّة واسِعَة تتخِذُ من المكوّن المكاني مَرْكَزًا لَهَا، وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ التّسميات نجدُ ما يأتي: أدَبُ الرّحلة، أدَبُ المذكرات والسّير الذّاتيّة، الأدب السّياحِي، الأدب الجغرافي...ولعَلَّ أكثر هَذِهِ التّسميات تداولاً هو أدب الرِّحْلة أو أدبُ الرّحلات.

(1) عمر بن قينة، **في الأدب الجزائري الحديث، تأريخًا وأنْوَاعًا وقضايا وأعْلاَمًا**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر (بن عكنون)، (د. ط)، 1995، ص07.

وعِنْد تعريفنا لأدب الرّحلة لا يسعنا إلاّ أنْ نقول هو فنّ من الفنون النّثرية الّتي عرفت ازدهارًا فِي أدبنا العربي منذُ القُرون الأولى وعَلَى الرّغم من تعدّد المفاهيم، واختلافها من دارس لآخر إلاّ أنّها فِي النّهاية تصبّ فِي قالبٍ واحِدٍ؛ فجاء في معجم المصطلحات العربيّة فِي اللّغة والأدب أنّ أدب الرّحلة هو: "**مجموعة الآثار الأدبيّة الّتِي تتناوَل انطباعات المؤلّف عَنْ رحَلاَتِهِ فِي بلاد مختلفة،وقد يتعرّض فِيها إلى مَا يَرَاهُ منْ عادات وسُلُوك وأخلاق، ولتسْجيل دقيق المناظِر الطبيعيّة الّتِي يُشَاهِدُها، أو يَسْرد مَرَاحِل رحْلَتِهِ مرحَلة مَرْحَلة، أَوَ يَجْمع بَيْن كل هَذَا فِي آنٍ واحِدٍ**"[1]، فأدب الرّحلة أدب وصفي ذُو طابع إخباري تسجيلي، يهتمّ بجمع أخبار البلاد والعباد، وتسجيل المشاهد الغريبة والطّريفة، وَهُوَ يتّسم بسمَات تاريخيّة وجغرافيّة،، واجتماعية، لاهتمامِهِ بحياة النّاس ،وتقاليدهم وأنماط عَيْشهم.

يتفّق جُلّ الدّارسِين عَلَى كَون أَدب الرّحلات يَعْتَمِد أسَاسًا عَلَى كشف صُورة الآخر: "**وَهُوَ أَدَبٌ يَدْخُلُ فِي درس الصّورولوجيّة، أيْ دِرَاسة صُورة شعب لشعب آخر**"[2].

وهو من خلال هَذِهِ الكيفيّة فِي تناول حَالاَتِ الشّعُوب الأخرى، يتتبّع "**عَادات وتقاليد وتأثيرات إقليميّة**"[3].

إذن أدب الرّحلة كَانَ ومَا زال تلك المدرسة، أو بمعنى شامل الجامعة الّتِي تزخَرُ بالعِبر والعلوم المختلفة، فهي تلك الحلقة المدْهِشة الّتِي عَمِلَت عَلَى اكتشاف الذّات الإنسانيّة واختراق الحواجز بين مختلف الشّعوب والأقوام، فهِي "**سِرُّ وحدة النّاس وبخاصّة فِي زمن انعدمَتْ فِيه وسائل الاتّصال**"[4].

---

(1) مجدي وهبة، كامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية فِي اللّغة والأدب**، م س، ص17.

(2) سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة** ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1985، ص98.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

(4) ينظر: شعيب حليفي، **الرّحلة فِي الأدب العربي، التّجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل**، رؤية للنّشر والتوّزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص45.

فأدب الرّحلة فنّ قائمٌ بذاتِهِ، لَهُ أصُولُهُ وقواعِدُه الفضفاضة، الهَدَفُ منه التّأثير فِي القارئ، والتواصل مَعَهُ، حَيْث يسْتَمْتِع بِكُلِّ مَا فِيه، وتزْدَاد ثقافتهِ وَمَعَارِفُهُ بطريقٍ غير مباشر أو محسوس[1] بَلْ إنّهُ يَجْعل القَارئ يقوم برحلة ممتعة وشيقة ومفيدة دون حركة أو انتقال.

إذن هُناك صفتان عَامتان لابد من توافرهما فِي أدب الرّحلات وهما:

أولاً: أن يكون مَنْ يكتب عَن الرّحلات رحّالاً بطبعِهِ مُحِبًّا للرّحلات.

ثانيا: أن يكتب بالأسلوب الّذِي يجعل وصفه للرّحلة، يعكس روح الرّحلة، والرّغبة الشديدة الّتي تتملّكه للقيام بِهَا.

وبالإجمال فإنّ أدب الرّحلة فن من الفنون النّثريّة العربيّة يمتاز بـ "**تشكيل لنَص ذاتي/شخصي بخصوص الأنا والآخر...يتبيّن مكتفيًا فِي شكل معَيَّن للتّعبير عن رؤية معيّنة انطلاقا من خطاب مُفصَح عَنْه فِي البداية، أو مُضْمَر في تضاعِيف السّرد والوصف والتّعليقات**[2].

وخلاصة القول أنّ الرّحلة هي دليل القارئ فِي متاهات المجهول من البلدان والأجناس يرافِقُه خطوة خطوة، ويَأْخُذَ بيدهِ برفق لِيَصِلَ بِه إلى الغاية الكبرى المتمثّلة فِي الكشف عن كل ما يحيط بِهِ من ظروف، وعلى كافة الأصْعِدة.

ثالثا/ الرّحلة في الأدب الجزائري خلال العصر الحديث:

عُرِف الجزائريون عَبْر تاريخهم الطّويل –كغيرهم–بكثرة ترحالهم، وسَفَرهم فِي شَتّى أنحاء العالم، ولا سّيما خلال القرن الثّاني عشَر للهجرة (12هـ) القرن الثّامن عشر الميلادي (18م)، والّذِي يُعدّ العصر الذّهَبي لتطوّر فن الرّحلة على الصّعيد العربي، نظرًا لِكثرة التأليف فِيه، غَيْر أنَّ ما يمكن أنْ يُقَالَ عَنْ رَحَلاَتِ الجزائريين؛ أنّهم كانوا قليلي الإنتاج بالمقارنة مع إخوانهم المغاربة الّذِين دَوّنوا

(1) يُنْظر: ناصر عبد الرّزاق المُوافِيْ، **الرّحلة فِي الأدب العربي حَتَى نهاية القرن الرّابع**، م س، ص41.

(2) شعيب حليفي، **الرّحلة فِي الأدب العربي: التّجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل**، م س، ص45.

رحلاتِهِم، فكانت مَعْرُوفَة ومُتداولة مُنْذُ قُرون طَوِيلة بَيْنَما بقيت رحلات الجزائريين مَسْمُوعة أو شفويّة فقط، فَلَمْ يَقُوموا بتسجيلها لِسَبب أو لآخر.

وإذا انتقلنا إلى القرن التَّاسِع عشر الميلادي سنجد الرّحلة قد شهدت نشاطًا كبيرًا، إذْ هبّت عليها نسمة النّهضة، وذلك بفعل عوامل؛ نذكر منها: احتكاك العرب بالغرب الوافد إلى بلدان عربيّة، وخاصّة مَعَ حملة **(نابليون بونابرت)** على مصر عام 1798م، والّتِي تُعَدّ مُؤشّرًا لبداية النهضة العربيّة الحديثة إذْ رافقَهُ العديد مِنَ العلمَاء وفِي مختلف الاختصاصات، وَقَد نتج عن هَذَا الاحتكاك تغَيُّرات كان لَهَا أثر بَالغٌ عَلَى الذّهنيّة العربيّة، ففي الجزائر نجد رحلات عدّة منها رحلة **(أبُو رَاسْ النّاصر)** والّتِي كانت باتجاه المشرق العربي لأداء مناسك الحجّ، وكذلك رِحلة **(الحاج الدّين الأغْوَاطِي)** المسمّاة **"رحلة الأغواطِي"** فِي شمال إفريقيا والسّودان والدّرعية[1].

وهَذِهِ الرّحلة كتبها بطلب من القنصل الأمريكي في الجزائر السيّد (ويليام هودسون) قبل الاحتلال الفرنسي بأقلّ من خمس سنوات[2].

(والحاج ابن الأغواطي) لَمْ يَكْتُبْ لَهُ الرّحلة بالتّفصيل وَإنّما أَشَارَ إلَى الخطوط العَريضة لكل منطقة سواء عن الجزائر أوْ عَنْ شبه الجزيرة العربيّة، ولَكِنْ على الرّغْم من هَذَا الاختصار، إلاّ أنّ الرّحلة كانت بمثابة وثيقة استفادَ مِنْها الأمريكيُون، بَلْ ومكنّت الفرنسيين من السّيطرة على مستعمراتها.

أمّا عن رحلة **(سُليمان بن صيام)** والمعروفة بـ **"الرّحْلَة الصّياميّة"** فقد كانت باتّجاهِ باريس سنة 1852م، وَقد استَغْرقت أكثر مِن شَهر، قدّم مِنْ خِلاَلِهَا وَصِفًا للعديد مِنَ الأشياء الحديثة الّتِي

(1) ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء فِي تاريخ الجزائر**، دَار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ج2، ص243-245.

(2) عمر بن قينة، **اتجاهات الرّحالين الجزائريين فِي الرّحلة العربيّة الحديثة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر (بن عكنون)، (د. ط)، 1995، ص16.

لاحَظَهَا فِي المجتمع الفرنسي، مشيرًا إلى ذلك التّطوّر الّذِي شهِدَتْه فرنْسا، لم يكن وصفه مُقْتَصِرًا عَلَى جانب معيّن وإنّما شَمِل جميع النّواحي.

وإذا كان (**سليمان بن الصّيام**) منبهرًا بمظاهر التّطوّر والحضارة فِي فرنسا، فإنّ رحلة (**أحمد ولد قاد**) سنة 1878م كانت أقلّ انبهارًا واندِهَاشًا بهذهِ المظاهر، إلاَّ أنّهُ يُبَالغُ فِي مَدْحِ حضارة فرنسا لِمَا شَاهَدَهُ مِنْ تطوّرٍ عِلْمِي وحَضاري فيها، والّذِي ينذُر وجوده في المجتمع الجزائري.

أمّا عَنْ رحَلاَتهم إلى المشرق خلال القرن الرّابع عشر للهجرة (العشرين الميلادي) فقدْ تزايد عددها وتنوّعت فِي طابعها واتّجاهاتها وزادت عمقًا، ونضجت العلوم والمعارف وزاد الوعي واليقظّة، فنجد المحطاّت الشرقيّة المقصودة بالزّيارة لَدَى رحّالي الجزائر المعاصرين، كالحجاز لأداء فريضة الحج كرحلة (**الطيّب المهاجي**)، وكذلك للقاء علماء المنطقة.

كذلك رحلة (**البشير الإبراهيمي**) إلى باكستان، مرورًا بباريس، ومصر، بينما شملت(**رحلات الغَسِيري**) الكثيرة بلدانًا مختلفة من الوطن العربي، ابتداءً منْ طرابلس الغرب، وحَتّى سوريا ولبنان، مرورًا بمصر، والعربيّة السّعوديّة، واقتصرت رحلة (**عثمان سعدي**) على مَصر، وإنْ لمْ تتعدّ حديثًا عن الانطلاق من وطَنِهِ الجزائر، وشروعًا فِي الإبْحَار على متنِ سفينة للمُسَافرين، كما ارتحل (**محمّد دبّوز**) إلى مِصْر وقصَدَ طَنْطَا المدينة الّتِي وُلِدَ فِيها (**مُصْطفى صادق الرّافعِي**)، وتعدّدت رحلات المدني، فشملت دُوّلاً عربيّة كثيرة، منها طرابلس، ومصر والسّودان وسوريا والسّعودية والكويت والأردن والعراق واليمن، "**فالرّحلة عنْدَه إلى الحجّ جزئية جدًا طَغَتْ فِيها المهام السِّيَاسِيّة عَلَى غيرها، فاخْتَلَطَ الحديث فِيها عن الحج والسّياسة**"[1].

(1) عمر بن قينة، **الخطاب القومِي فِي الثّقافة الجزائريّة**، دراسة من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د. ط)، 1999، ص24.

وتركزّت رحلة (**أبو القاسم سعد الله**) على زيارة الحجاز والمشاركة فِي ندوة علميّة تاريخيّة بالرّياض، واغتنام فرصة وجودِهِ بالبلاد الحجازيّة للقيام بالعمرة[1].

كَمَا عَمَدَ إلى نشر بعض من كُتُبِهِ، كتجارب فِي الأدب والرّحلة، والجدل الثّقافي، وهمُوم حَضَاريّة، ومِنْها رحلته إلى المغرب فِي 29 جويليّة 1973م، للبحث عن المخطوطات الّتِي تعينُه فِي مادة كتابة تاريخ الجزائر الثّقافِي، ويَظْهر ذلك فِي قوله: "**تَوَجّهتُ إلى الخزانة العامّة (المكتبة الوطنيّة) بحثًا عن المخطوطات الّتِي جئْتُ منْ أجْلِهَا**"[2]، كما التقى بشيوخ من أمثال الأستاذ (**محمّد إبراهيم الكتّاني**)، و(**عبد الملك مرتاض**) وغيرهم.

وملخّص القول إنّ الرّحلات الجزائريّة اتّسعت مشاربها حتّى غمَرت أنحاء العالم بأجمله شمالاً وجنوبًا شرقًا وغرْبًا، والّتِي كثرت بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، هادفة إلى إبراز معالم الجزائر الثّقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة...، والكشف عَنْ خصُوصيات الشّخصية الجزائرية ودورها فِي تأسيس الهويّة الوطنيّة فركزت أكثر على الدّين والعلم واللّغة، كما عكست التّقاليد والعادات والمعتقدات.

رابعا/ مفهوم الهويّة:

برز مفهوم الهويّة بوصفه أحد أهمّ المفاهيم التي انشغل بها العقل البحثي والمعرفي تاريخيا حتى يومنا هذا، وقد نجم عن الحصيلة المعرفية بهذا الانشغال تعدّد تعريفات الهويّة، ولئن تمحورت على الإنسان، حيث شملت مستويات عدّة منها: الإنسان مُنفردا، والإنسان في إطار علاقاته بمن حوله وحركته في دوائر الانتماء المتعدّدة، وفي إطار التغيرات الاجتماعيةّ المستجدة.

---

(1) انظر: سميرة أنساعد، **الرّحلة إلى المشرق فِي الأدب الجزائري، دراسة فِي النشأة والتطوّر والبنية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د. ط)، 2009، ص76-77.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تجارب فِي الأدب والرّحلة (رحلتي إلى المغرب)**، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، (د. ط)، 1983، ص209.

فالهويّة مبحث فضفاض تتقاطع فيه أكثر من حقل معرفي، وهو الأمر الذي وسم مفهومها بالثّراء والدينامية نظرا لما تشهده من تشكُّل مستمر.

1) لغة:

وردفي **"لسان العرب"** : **هوى: يهوي هَوِياً وهُوِياً: سقط من فوق إلى أسفل ...والهوى في السّير إذا مضى....والهوى: الحين الطّويل من الزّمان ...هوى النّفس إرادتها .... وقيل: الهَوَيَّة (بفتح الهاء) بئر بعيدة المَهْوَاة (بفتح الميم) وغرسها وسَقفُها المُغْمى عَلَيْهَا بالتُرَاب، فَيَغْتَرُّ به واطئه. فَيَقَعُ فيها فيهلك"**[1]، وبنفس المعنى تقريبا نجدها في **"معجم الوسيط"** في مادة الهوية هي: **"البِئْرُ بَعيدةُ القَعْرِ"**[2]، يحيلنا المعنيان المعجميان للفظة الهوّية للبئر، وامتداد المكان وتحيلنا الدّلالات المجازية إلى عُمق المفهوم، وترسّب معانيه.

أمّا في **" المنجد في اللغة والإعلام** "فوردت لفظة الهويّة في: **"حَقِيقَة الشّيء أوْ الشّخْصِ المُطلقة المشتملة على صِفاته الجوهريّة"**[3].

بمعنى أن الهويّة هي حقيقة الأشياء وصفات الشّخص التي تميّزه عن غيره.

2) اصطلاحا:

يُعَدُّ مصطلح الهويّة من المصطلحات المستعصيّة الصّعبة على التّحديد فالبحث عنه بمثابة مغامرة غير مضمونة العواقب، وذلك راجع لغموض المفهوم وطبيعته الزئّبقية حيث يقول (**أمين معلوف**): **"لقد علّمتني حياة الكتابة أن أرتاب من الكلمات فأكثرها شفافيّة غالبا ما يكون**

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، م س . مج 6، ص ص، 4727- 4729

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، **معجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ط2، 1972، ج1، ص50.

(3) مجموعة من الباحثين، **المنجد في اللغة والإعلام**، ، دار المشرق، بيروت، ط38، 2000، ص875.

أكثرها خيانة وإحدى هذه الكلمات المضلّلة هي كلمة "هويّة"، تحديدا فنحن جميعا نعتقد بأننا ندرك دلالتها ونستّمر في الوثوق بها، وإن راحت تعني نقيضها بصورة خبيثة"[1].

ونورد من تعريفات الهويّة تعريف (**الجرجاني**) الذي يقول: "**الهويّة هي الحقيقة المُطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النّواة على الشّجرة في الغيب المطلق**"[2]، يُشبّه (**الجرجاني**) الهويةّ بالنّواة لأنها تشمل حقيقة الشّيء وخصائصه الجوهريّة كاشتمال النّواة على الشّجرة في الغيب المطلق، حيث تختزل هذه النّواة جميع الخصائص الجوهريّة للشّجرة.

ويعرّفها (**حسن حنفي**) بقوله: "**الهويّة ليست موضوعا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانيّة حركية تتفاعل مع الحريةّ، فالهويّة ليست شيئا يُخلق**"[3].

أي أنّ الهويّة ليست ثابتة بل هي متغيرة وفي ديناميكيّة تتفاعل مع الحريّة، وهذا ما يحقّق وجودها.

ويرى (**ألكيس ميكشللي**): "**أنّ الهويةّ ليست كيانا يُعطى دفعة واحدة وإلى الأبد، إنّها حقيقة تُولدُ وتنمو وتتكوّن وتتغاير، وتشيخُ، وتُعَاني الأزمات الوجوديّة والاستيلاب**"[4]،نستشفّ من تعريف (**أليكس**) أنه أعطى للهويّة دورة حياة، فهي مثل الكائن الحي تُولد، ثم تنمو لتجري عليها جُل الأمور الحياتيّة من تغيُّر وشيخوخة وأزمات، وبذلك فهو يتفق مع (**حسن حنفي**) في رؤيته أن الهويّة ليست ثابتة.

(1) أمين معلوف، **الهويات القاتلة**، تر: نبيل محسن، دار الحصاد، دمشق، ط1، 1999م، ص17.

(2) محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، دار الفضيلة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص216.

(3) حسن حنفي، **الهويّة**، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص11.

(4) ألكس ميكشللي، **الهويّة**، تر: علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، ط1، 1993، ص7.

تحتل إشكالية الهويّة حَيِّزًا مُعتبرا في مختلف البحوث باعتبارها مسألة متّصلة اتّصالا وجودياّ بـ "الأنا" في تحديد جوهره، وضبط مكوّناته التي تدفعه نحو تحقيق الذَّات كما يرسم رسالته ووظيفته في الوجود، وكيفية تعامله مع الآخر.

كما تضع الهويةّ قواعد وأسس العلاقة التبادليّة بين الأنا والآخر، وعليه: **"إنّ مفهوم الهويّة من المفاهيم المتعدّدة المعاني فهو يحيل إلى الأنا وإلى تصوّراتنا عن أنفسنا التي تسمح للآخر بأن يتعرّف علينا وهي تشتمل على مظهرين: احترام الذّات وتقديرها، والوعي بها"**.

ولعلّ أهمّ جدليّة أُثيرت هي تلك المتعلّقة بعلاقة الهويّة بالآخر، لأنّه لا وجود لهويّة خاصّة دون اختلاف فكل "أنا" تحمل غيريتها أي "آخرها" ومن ثمة تكون الآخريّة ركنا في تكوين وتأسيس الهوّية، يقول في ذلك (**علي حرب**): **"لا تستقيم هويّة الأنا من دون الآخر، وإنّ الوعي بالذّات يمرّ بالضرورة عبر الغير، وأيقن أنّ الآخر حاضرا في الذّات بقدر ما هو غائب وقريب بقدر ما هو بعيد، إذْ الغير هو الوجه الباطن لنا وهو مُكنّاه أو ما يمكن أن نُكوّنه، واستقِرُ عنده أن لا تشابه بإطلاق ولا تباين بإطلاق"**[1].

وعليه فالإنسان يولد بمفرده ويموت بمفرده لكنه لا يعيش ويحيا إلا مع الآخرين وبالآخرين، ومهما كانت صورة الآخر وشكله وهيئته فهي ضرورية وحتمية لوجود **"الأنا"** المتميزّة بهويّتها الفرديّة.

خامسا/ مفهوم الآخر:

يشكّلُ موضوع الآخر قضيّة مركزيّة، وفِي جلّ الدّراسات، كَمَا يُعَدُّ مِنْ أَكْثَرِ المفاهِيم حُضُورًا فِي الكتابات المعاصرة الفكريّة والثّقافيّة والنقديّة، وقد اختلفت رُؤى الفلاسفة والمُفكّرين حَوْلَ مفهوم الآخر تِبعًا لاختلاف التّيارات الفلسفِيّة، والمذاهب الفكريّة.

(1) علي حرب، **خطاب الهوية، سيرة فكرية**، منشورات الاختلاف، الجزائر، (د.ط)، 2008، ص43.

أ) لغة:

وردت عدّة مَفَاهِيم **"للآخر"** فِي المعاجم اللّغوية، فجاءت فِي **"لِسَان العرب"** بمعنى الآخَرُ بالفتح: **"أحَدُ الشَيْئين وَهُوَ اسم على أفْعل (...) فِيه مَعنى الصّفة، و"الآخر" بِمَعْنى "غير" كقَوْلك رَجُلٌ آخَر وَثَوْبٌ آخر"**[1].

وفِي **"معجم الوسيط"** وردت كَلمة **"الآخر"**: بمعنى: **"تَأَخَّرَ، والشَّيْء جَعَلَهُ بَعْدَ مَوْضُوع، وَهُوَ المِيعَاد أجَلَهُ (تَأَخَّرَ) عَنْهُ جَاءَ بَعْدَهُ وَتَقَهْقَرَ عَنْهُ، وَلَمْ يَصِلْ إلَيْهِ، و"الآخَرُ" أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ ويَكُونَانِ من جِنْسٍ واحِدٍ"**[2].

أمّا فِي **(معجم الصّحاح**)فجاء: **بفتح الخاء ، أحدُ الشّيئين ، وآخر يُؤَنَّث ويُجمعُ ، بغير من،وبغير الألف ،وبغير الإضافة ، تقول مررتُ برجل آخر ، وبرجال آخر ، وآخرين وبامرأة أخرى ونسوة أُخر وتصغير أخيري "**[3].

من التّعريفات اللّغويّة السّابقة يتبيّن أن كلمة **"الآخر"** هي المقابل للأنا، وأنّ هناك اتّفاقا بين المعاجم حول المفهوم اللّغوي لها والذّي يعني إما أحد الشّيئين ، أو الغير.

ب)اصطلاحًا:

تعدّدت مفاهيم "الآخر"، واختلفت وتجاذبته الدّيانات والفلسفات والمقاربات، لتُحَمِّلَهُ دَلاَلات الوجود والضّرورة الحتميّة فمهما اختلفت الرّؤى والمقاربات والتّأويلات فِي تشكيل الآخر يبقى الآخر هو صورة لذواتنا، والطّرف الفاعل فِي معادلة الصّراع والبقاء.

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، م س، مج 1، ص38.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، م س، ص09.

(3) الجوهري، **معجم الصّحاح** ، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008، ص 32-33 .

وإذا حَاوَلْنا أنْ نَعْرِف مَا هُوَ **"الآخر"** فيجِبُ أنْ نُدْرك أوّلاً أنّ هُناك ثمّة تلازم بين مفهوم **"الأنا"** أوْ الذّات أو الهويّة ومفهوم **"الآخر"**، فهِيَ ثنائيّة مُتَلاَزِمَة، واسْتِخْدام أيّ مِنْهُما يَسْتَدْعِي تِلْقَائيًا، حضور الآخر، كما أن صورة الآخر تعكس بالضّرورة صورة الأنا والعكس صحيح، فكلّ مِن الأنا والآخر هِيَ مِرْآة عاكسة لِصُورهما.

يعرّف (**مُصْلِح النّجار**)**"الآخر"** بأنّه: **"فَرْدٌ أو جماعة، لا يمكن تحدِيدُهم إلاّفِي ضوء مَرْجع هو الأنا، فإذا حدّدنا هويّة الأنا، كان الآخر فردا أو جماعة بحكم علاقته بالأنا عامل التّمايز، وَهُوَ تمايز إطارهُ، الهوية أحْيانًا، والإجراء فِي أحيان أخرى"**[1].

يرى (**شاكر عبد الحميد**): **"أنّ الآخر قد يكون أحد الأفراد، أو يكون جماعة مِن الجماعات، أو أمّة من الأمم، فالآخر قد يكون قريبًا، وقد يكون بعيدًا، وقد يكون صديقًا وقد يكون عَدّوًا، وقد يكون عَدُوًّا نفكّر فِي أنسب الوسائل للتعامل معه"**[2]، هذه التجارب وسواها تحدّد بتنوّعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إمّا على صعيد الوعي أو فِي حقل السّلوك والفعل.

وحسب (**سعد البازعي**) فإن النّقاد قسّموا الآخر عدّة أقسام شملت عدّة وجهات **"الآخر الفلسفي، والآخر الفكري، والآخر النفساني، والآخر الإبداعي الثّقافي (الدّيني والشّيعي والحضاري)"**[3]، ومن ثمّة فإنّ الأنا هي من تَرسُمُ حُدُودَ الآخر، وتضَعُ مواصفات شكله، فكما يكون الآخر فَرْدًا يكون أحيانًا أُخْرَى جماعة، وكما يكون الآخر معروفًا للذّات وقريبًا مِنْها، فإنّه يَكُون فِي أحايين أخْرَى فِي أماكن بعيدة، وحَتّى فِي أزمنة مختلفة.

(1) مصلح النّجار وآخرون، **الدّراسات الثّقافيّة والدّراسات ما بعد الكولونياليّة**، جامعة الأهلية، الأردن، ط1، 2008، ص51.

(2) سمية محنش، **جمالية المراوغة والتوّظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللّغة الشعريّة – دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي، مجلةّ الأثر**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ، الجزائر، –العدد 29/ ديسمبر 2017، ص199.

(3) سعد البازعي، **الاختلاف الثّقافي وثقافة الآخر**، المركز الثّقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط1، 2008، ص37.

وعَلَيْهِ فالآخر مفهوم كلّي يتّسع مَدْلوله لكل ما هو مُغاير للذّات، فالآخر والغير هو المخالف لي والّذِي لا يشبهني، حتّى وإنْ كَان يُشاركني ذات الانتماء الحضاري والثّقافي، فكلّ ما هو مخالف لذاتي هو آخر بالنّسبة لي.

سادسا/ العلاقة بين الأنا والآخر:

أحدثت علاقة الأَنَا والآخر جَدَلاً فِي مختلف الأوساط المعرفيّة، وحظيت باهتمام كَبِير مِنْ لَدن المفكّرين والأدباء العرب والغربيين، فتناوَلُوهَا بالدّراسَةِ والتّحليل من كلّ الجَوَانِب (السّياسيّة، الاجتماعيّة، الحضاريّة والثقافيّة).

وقَدْ اختلفت الرّؤى حَوْل هَذِهِ العَلاقَة وأصبَحَتْ تُمَثّلُ إشكاليّة لابدّ مِن التطرّق لَهَا أَثْنَاء التعرّض لثُنَائيّة الأنا والآخر.

ولكن ذَلك لَيْس بالأمْرِ اليسير والسَّهل، لأنّهُ أحْيَانًا يَكون بالمفاهَمَة والمصالحةِ والاحترام بين الطرّفين، وطَوْرًا آخر يكون بالاختلافات والصّراعاتِ، ووجود الطَرَف الثّاني أمر ضروري لتحقيق الكينونة، ضِمْنَ **"الشُّرُوط الأوَلِيّة لِبنَاءِ وِحْدَة سَيْكُولوجيّة اجْتِمَاعِيّة ،هُوَ إنْشَاء صُوَرة الآخَر، فبفضْلِهَا تَتَحَقّقُ نَزْعَةُ الفَرْدِ خَلْفَ انْشِطَارٍ...بين "النّحْنُ" و"الهُمْ"، وإلى تثبيت الفروق بَيْنَ هَؤُلاَءِ وأُولئِكَ"**[1]؛ لا يُمْكِن الاستغناء عَن الأنا والآخر، فوجود الأنا يُلْزِم بالضّرورة وجود الآخر، لأنّهُ يُفِيدنا فِي التطوّر فِي مختلف الأوْساطِ المعرفيّة، ومن خلال هذا الاحتكاك والتّواصل يكونُ للعَربي رؤى مختلفة ومتباينة عن الآخر الغربي حتّى تتمكّن الأنا من إدراك نفسها.

وفِي هَذِهِ العلاقة قَدْ يُمَثّلُ الأنَا المركز، والآخر الهَامِش، وفِي أَحْيَان أخرى قَدْ يُمَثّلُ تحدّيًا وتهديدًا **"فالآخَرُ حَال فِي المَجَال الوُجُودِي للهوِيّة، إنّهُ يُمَثّلُ وبِشكْلٍ مُفارِقٍ مَوْضوع إغراء ومَنْبعًا للحِيطَةِ**

(1) إبراهيم خليل الشّبْلي، **الذّات والآخر فِي الرّواية السّوريّة**، دار فضاءات، سوريا، ط1، 2019، ص24.

والحَذَرِ"[1]، فمكانة الآخر وتطوّرِهِ تضَعُ الأنا فِي دائرة الخَوْفِ مِنْهُ ومِنَ السّيطرة عَلَيْهِ، وهَذَا الاختلاف بَيْنَهُما لاَ يَعْنِي البُعد، بل هَذِهِ الثّنائيّة لا تقوم بدون الطَرَفِ الآخر.

وَمِنَ الوجهات الّتِي نجِدُ فِيها التَّلاَقي بَيْنَ الأنا والآخر مَا يُعْرَف بـ **"الاستشراق"**، وَهُوَ مَجْمُوعَة البِعثات القَادِمة من الغرب نَحْوَ الشّرق قصد اكتشافِهِ، ويقابِلُهُ مُصْطَلح "الاستغراب" وَهُوَ **"الوَجْهُ الآخَرُ والمقابل، بل والنّقيض من الاستِشْرَاقِ، فإذا كانَ الاستشراق هُوَ رؤية الأنا (الشرق) من خِلاَل الآخر (الغرب)، يَهْدِفُ علم الاستغراب إلى فكِّ العُقدة التَّاريخيّة المزدوجة بين الأنا والآخر"**[2].

ومِنْهُ يُمْكِنُنَا القَوْل أنّ كلّ من الأنا والآخر يُمْكِنُه التّلاَقي لِدَوَافع وأسباب سيّاسيّة أو اقتصاديّة أوْ مِنْ أجْل التعرّف والمقارنة.

فالرّحْلَة بِمَفْهُومِهَا العَام هِيَ تجربة حقيقيّة يُقدّمُ فِيها الرّحالة مَا شاهَدَهُ طيلة رِحْلَتِهِ إِلَى بَلَدٍ أجْنبي، يُعْطِينَا مِنْ خِلاَلها صُورَة الآخر، الّتِي **"تَطْرَحُ جُمْلَة مِن الاختلافاتِ، كمَفْهُومِ الثّقافة والهويّة ،والحيَاة الاجتماعيّة لِلآخر، ممّا يبْرزُ سُلْطَان الأنا فِي هَذَا الوَصْفِ، فضْلاً عَنْ إظْهَارِ الصّراعِ بَيْنَ الأنا والآخر، وتُقدَّم الأنَا بصورة الآخر عَبْرَ أنْسَاق ثَلاَثة (السيّاسِي والدّيني، والثّقافي)"**[3].

فالرّحالة ينقُلُون صورة الآخر مِنْ جَمِيع جوانبه، فيُعَايشونَهُ ويَتَغلْغَلُون فِي العناصر المكوّنة لَهُ مِنْ ثقافة وفكر وأسلوب عيش وغيرها...ومِنْ ذلك يمكن المقارنة بين الأنا والآخر وتقديم خلفية معرفيّة، وهَذَا ما يمكننا التعرّف عَلَيْهِ.

---

(1) إبراهيم خليل الشّبْلي، **الذّات والآخر فِي الرّواية السّوريّة**، م س، ص24.

(2) أحمد عبد الحليم عطيّة، **جدل الأنا والآخر، قراءات نقدية في فكر حسن حنفي**، مكتبة مَدْبُولي الصّغير للنّشر، المواحديّة، مصر، ط1، 1997، ص150.

(3) إبراهيم شرايطيّة، **سُلطان الأنا وصُورَة الآخر فِي رحلة ابن جبير**، مجلة الأثر، جامعة القيروان، تونس، ع 30، جوان 2018، ص242.

وعَلَى الرّغم مِنَ الصّراعِ القائِم بَيْنَ هَذِهِ الثّنائيّة، إلاّ أنّه يمكن الاندماج وحلّ الخلاف القائم بغضّ النّظر عن الظّروفِ، واعتبار الآخر مجرّد عنصر فعّال يُمْكنُ الاستفادة مِنْه باعتبارهِ جِسْرًا نَحْو التعرّف على العالم بكل ما فِيه مِنْ أجْل الرّقي والتّطوّرِ.

الفصل الثّاني : تمثّلات الهويّة في رحلة سعيد خطيبي"جنائن الشّرق الملتهبة"

أوّلا: الذّات المثقّفة.

ثانيا: الذّات والطّفولـــة.

ثالثا: الذّات المرتحلـــة.

رابعا: الذّات والوطـــن.

خامسا: الذّات الاجتماعية.

توطئة:

يرتبط مفهوم الهويّة بكلّ أنا (ذات) في إطار علاقتها بهويّة الآخر، فمن خلال علاقة الأنا بالآخر تتكوّن الهويّة، والّتي دائما يسعى الفرد للحفاظ على وجودها حتى لا يتمّ محوها من طرف الآخر، وتتجلّى صورة الذّات في النّصوص الأدبيّة بخصائصها وميزاتها، وبأبعادها المتنوّعة، فأخذت أشكالا عدّة.

وقد تمظهرت في رحلة "سعيد خطيبي"، وحاولنا من خلالها رصد أهمّ تجسّداتها؛ فوجدنا منها الذّات المثقّفة، الذّات المرتحلة، الذّات والطّفولة، الذّات والوطن، الذّات الاجتماعيّة.

أوّلا/ الذّات المثقّفة :

إنّ ميزة المثّقف هي أن يكون واعيا ، ومُحبّا للمطالعة، وعاشقا للعلم، وتتجلّى هذه الصّفة عند سعيد خطيبي في عُدَّته المعرفية التي تسلَّح بها ليقوم برحلته في أرض الصقالبة " **عدّتي المعنوية كانت أقلّ من الماديّة قليلا ، خصوصا القراءات التي قمت بها قبل وأثناء وبعد الرّحلة لأهمّ كُتّاب البلقان ،وأوكرانيا ، المترجمين إلى الفرنسية ، مع الاطّلاع على بعض ماكتبه فرنسيون وعرب عن منطقة السلاف ، وكان لابد لي من عودة إلى رسالة ابن فضلان (كتبها عام 921)التي يذكر فيها ، أن المسلمين كانوا يجلبون كثيرا من السلع .....**"[1]

جاءت الرحلة طافحة بفيض من المعلومات الكثيرة التي قدّمها عنها اقتصاديّا وسياسياّ وثقافياّ، مؤكدًا أن المرئي والمرصود في أثناء فعل الرّحلة والانتقال لا يكتملان ولا يتم استيعابهما والنّظر إليهما

(1) سعيد خطيبي، **جنائن الشّرق الملتهبة، رحلة في بلاد الصقالبة**، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 2015، ص 14.

إلاّ بما يتوفّر للكاتب من قراءاته السّابقة، وكذلك أسفاره أي عُدَّته المعرفية فهو يجمع بين السّفر والقراءة.

وتظهر الذّات المثقّفة بصورة واضحة في أثناء زيارته للمكتبات، التي ذكّرته بمكتبات البريد المركزي وفرحته الكبيرة عندما وجد كتابا لكاتب جزائري مُندّس بين صفوف كُتّاب عالميين في محلّ لبيع الكتب القديمة،كان العثور على هذه اللُّقيَّة جزءا من مصادفة حُرّة فقد قادته إلى محلّ الكتب في " ليوبليانا " عادته التي يراها جزائرية في التسكّع ومُراودة محلاّت بيع الكتب القديمة، التي يقضي السّاعات في تقليب صفحاتها ولا يقتني في النهاية إلا القليل منها بسبب شُحّ الميزانية الشّخصية[1] لكن تعليقه على هذه العادة الممتعة بأنّها "**على الرّغم من أنّها تستهوي الكثيرين من أمثاله، تُثير غضب الباعة الّذين صاروا يتحرّجون من كثرة الرُوّاد وقلّة المشترين** "[2].

يفسّر نظرة العجوز المُشرفة على المحلّ، التي رمقته بنظرة شاملة من الأسفل إلى الأعلى، دون أن تردّ عليه التحيّة، ربّما لأنّ الحال في سلوفينيا لا يختلف عن الحال في الجزائر. روّاد مثقّفون وشغف للكتب ومحدوديّة في الميزانية، وبائعٌ عجوز ينتظر رواج بضاعته، ولعلّها لم تكن المرّة الوحيدة التّي رمقه فيها بائع عجوز لم يشتر منه، فمؤكّد أنّها حدثت مرّات ومرّات في الجزائر"على أنّ المشهد ينضوي على إشارة هامّة أخرى بدت عبر الفرح الذي اعترى الكاتب عند مطالعته كتابا لـ " رشيد ميموني " الرّوائي الجزائري مُتَرجما إلى السلوفينية بين كُتّاب عالميين مثل " كافكا" و إيميل زولا "، و" أرنست هيمنغواي"[3]. يبدو من هذا الولع بلقاء الآخر ثقافيّا وحضاريّا حيث يقول: "**وجدت كتابا جزائريّا**

(1) انظر: محمود العشيري، **عين على الصّقالبة عين على الذّات، قراءة في رحلة جنائن الشّرق الملتهبة، رحلة لبلاد الصقالبة**، ص 11.

Geargetawnuniversitg –gatar-feyoum .university .egypt.

2) سعيد خطيبي ، **الرحلة**، ص 26.

(3)انظر: محمود العشيري ،**عين على الصقالبة، عين على الذّات**، م س ، ص 11.

مُندسّا بين كُتّاب عالميين مُترجَما إلى السلوفينية أمسكت الكِتاب ، فهمت من محاولة قراءة العنوان أنّها رواية توبيزا"[1] بيد أنّ النّص ينطوي على إشارات أخرى قد تُجهض هذا الولع ففي الوقت الذي تنسال فيه على ذهنه الأفكار عن ميموني الشّخص والجزائر، فيعجز عن التّعبير عنها بلغة تفهمها البائعة، وفي الوقت الذي تنحجب عن هذا القارئ معلومات عن "ميموني" وقيمته في الجزائر والمحيط المغاربي، وأنّ ثمّة دار للثّقافة في الجزائر تحمل اسمه يصبح لديه أفكاره ورؤاه، وهي الأصل المؤسّس لهذه المكانة وتلك القيمة في الجزائر فرصة أن تنداح أعماله وأفكاره في محيط اللّغة والثّقافة السلوفينيتين، وممّا سكت عنه النّص أنّ "رشيد ميموني " الذي يكتب بالفرنسيةّ قد لا يكون مُتاحا للقارىء العربي إلى الآن، فهو لم يُترجم إلى العربيّة بسبب الأوضاع السياسيّة حيث اعتبُرت أعماله مجرّد هجاء سياسي [2].

كما لفت انتباه سعيد الخطيبي اختلاف قصر تيتو عن قصور زعماء العرب، والذي كسر كلّ ما مكان يحمله الكاتب من تصوُّرات مُسبقة، فاهتمام الزعيم تيتو بالقراءة مُقارنة مع الزّعماء العرب هو ما كان صادما بالنّسبة إلى الكاتب، حيث يقول " **ما أثار انتباهي في قصر الزّعيم تيتو هي المكتبة ....وربّما وقّع تيتو نصوصا ووُرِيَت التّراب معه"** [3].

كما شدَّ انتباه الرّحالة المكتبات البسيطة التي تزخر بها كرواتيا ، فتلك المكتبات مكتظّة بالكتب تضمّ عددا كبيرا من المراجع من القارات الخمس، وهذا ما يؤكّد الانفتاح الكرواتي على العالم، وعدم الانغلاق على الذّات.

(1)سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص27.

(2) انظر: محمود العشيري ، **عين على الصقالبة، عين على الذّات**، م س، ص 11.

(3) سعيد خطيبي، الرّحلة، ص42.

" كما عرفّنا الرّحالة بأهم كُتّاب كرواتيا وشعرائها وأدبائها...منها رائد الأدب المقارن " بافاو فافليشنيش " في أهمّ أعماله النّقدية والرّوائيّة منها رواية المنسيّة 1996 رواية كاليغرافيا 1993،وهما روايتان بوليسيتان ، إضافة إلى الشاعرة إيفانا بودرجيتش بروايتها " فندق زاد 2010. والكاتبة " دوبر اوكا أوغرتيشيتش" المختصّة في الأدب الروسي، من روايتها "وزارة الألم "2004.

ولا أحد يردّ عليكم 2005....." [1]

وفي أثناء تجوُّل "سعيد خطيبي " في المدينة لمح مؤسّسة ثقافيّة مكتوب عليها بالأحمر والأسود " بيت ثروبار الأدبي " فدخلها وأُعجِب بقاعاتها التي تُقام فيها مختلف النَّشاطات الأدبيّة والفنيّة مُزينّة جدرانها "**بلوحات ومنحوتات بشكل أضفى على المكان كثيرا من الدّفء والحميميّة** [2]، والشّيء الذي شدّ ذات الأنا "سعيد خطيبي نحو الآخر هو كيف يقدّس السلوفينيون مثقّفيهم وأدبائهم، لأن هذه المؤسّسة تحمل اسم أحد النّخبة المثّقفة في سلوفينيا، الذي كان رجل دين وواضع القواعد السلوفينيّة، ومُترجم الإنجيل إلى لغة البلد وتارك 25 كتاب، إنّه بريموش ثروبار 1508-1586.

فهذه تُعدُّ نقطة اختلاف بين الذّات (الأنا) العربيّة والآخر السّلوفيني، "**فهم يحتفلون بالشّعراء والمثقّفين في حين تحتفي البلاد العربية بالرّؤساء ، و الزّعماء ، والدّكتاتوريين ، ليُجعل منهم أيقونات تنغّص على المواطن العربي البسيط يوميّاته**"[3].

(1) انظر: رواية شاوي ،**وصف المدن في أدب الرحلة الجزائرية المعاصرة"جنائن الشّرق الملتهبة رحلة في بلاد الصّقالبة"** لسعيد خطيبي، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ص12 .

(2) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص 28.

(3) المصدر نفسه، ص ن.

وما لفت انتباه الرّحالة أيضا في أثناء تجوّله متحف بلغراد الذي يحوي أغراض الزّعيم تيتو، الهدايا القادمة من قادة الدّول العربيّة ودول العالم، كانت عبارة عن ذّهب والماس وميدالياّت بينما القادمة من أروبا، فكانت لوحات فنيّة ومنحوتات قيّمة، أي أغراض ذات بعاد ثقافيّ، وفنيّ، فاستنبط أنّ الحاكم العربي يرى ثروته في المال فقط، أمّا الحاكم الغربي فيراها في الفنّ والثّقافة وما إلى ذلك، فالآخر (الغربي) يختلف كثيرا عن (الأنا) العربي في نظرته الخاصة وفكره الخاص الذي بناه على مرجعيّة ، وعلى حسب بيئته التي نشأ فيها .

والأمر المميّز هو أنّه يُسمح لهم بزيارة متحف يحمل هدايا قادتهم، وهو مالا نجده في بلادنا أي الذّات.

ثانيا/ الذّات والطّفولة :

يعترف خطيبي أنّه تعلّق بسرابيفو، ويظنّ أنه يعرفها، ويعرف أهلها قبل أن يزورها، أو يفكّر في ذلك فهي تمثّل جزءا من ذاكرته لأنّها تمثّل امتدادا لتشابه الظّروف والوقائع، فتتفاعل الذّات هنا مع ذاكرة سراييفو المعطوبة، التي نجد لها حضورا قويّا في تمثيلات سعيد خطيبي لها، ويرجع ذلك إلى تشابه الجُرح بين الجزائر والبوسنة في الفترة نفسها، فتستحضر ذاكرة الرّحالة سنوات الطّفولة عندما كان يغنّي سراييفو في فرقة الكشّافة. يقول " **لست أعرف كيف وُلد تعلّقي بسراييفو، قبل أن أزورها، تراجيديا الحرب التّي ألبستها ثوبها، سنوات الطّفولة في الجزائر في سنّ العاشرة كنّا في المدرسة وفي فرقة الكشّافة نغنّي لأطفال سيراييفو ، كناّ مثلهم نعيش على وقع المّوت والدّم ، وصُوَر القتل اليومي**" [1] .

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص74.

هذه الأحاسيس التي تتشابه بين ماضي الجزائر وسراييفو، وهما يتقاسمان جراحات كثيرة ومآسي لازالت آثارها ممتدّة إلى اليوم في ذاكرة الكثيرين، يقول في ذلك: "**سراييفو تدغدغ الذاكرة كلحن بعيد عائم، يظهر ويختفي دون توقف، وهي وجه مقسّم نصفين، بين شرق مسلم، وغرب مسيحي، هي لوحة فنيّة طبيعية ملطّخة بسواد سنوات الحربين العالميّتين ثم الحرب الأهلية، وهي العنوان الأبرز الذي كان يتكرّر ويتصدّر النشرات الإخبارية منتصف التسعينات**"[1].

كان بين الجزائر والبوسنة قرابة ربع قرن من التّاريخ المشترك، عندما كانت البوسنة تتّبع يوغسلافيا، كانا بلدين قريبين من بعضهما البعض، طلبة جزائريّون كانوا يستقرّون في سراييفو في السّتينات، والسبعينات من القرن الماضي، وعمّال بوسنيّون كانوا يأتون إلى الجزائر، وحصل كثير من الزّيجات المختلطة، لكن بعد سقوط جدار برلين، وقعت القطيعة وتباعد البلدان، ودخل كلّ واحد منهما في أزمات، وتمزّقات داخليّة .

كان خطيبي يسافر كي يعود إلى أمكنته الأولى، وحين وصل إلى سراييفو، لأوّل مرّة، شعر أنّه في الجزائر، لم يشعر بالاغتراب، حين يسير في حاراتها، يشعر كما لو أنّه يسير في قسنطينة، أو عنابة، أو وهران حيث يقول في ذلك:"**دخلتُ على حارات بأرصفة حجريّة، وتلمّستُ جدران البنايات العبِقة بالتّاريخ، وشممتُ رائحتها العتيقة، واستحضرتُ شيئا من الذّاكرة المثقوبة، من أحياء قسنطينة، وعنابة، ومدينتي الجنوبيّة الصّغيرة**[2]، يعبّر عن تعلّقه بها فيقول:" **بدت لي سراييفو قطعة من القلب تدغدغ الذّاكرة كلحن بعيد عائم، يظهر ويختفي دون توقف** "[3].

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة** ، ص74.

(2) المصدر نفسه، ص 82.

(3)المصدر نفسه، ص75.

وعندما عرف سراييفو عن قرب أدرك بعض أسرارها " **في سراييفو تُمحى كلّ المسافات وتتقارب تفاصيل الحياة وتتقاطع فيما بينها، الحياة هناك، رغم ما يرافقها من قلق، تُشعر المُقيم فيها بثقة في النّفس وباعتزاز بالماضي .....**"[1].

وسراييفو على الرّغم من أوروبيتها إلا أنّها فقيرة الحال، وعندما غادرها، شعر بلوعة الفراق "**أشعر أنني تركت جزءا من قلبي في سراييفو ، فقد وجدت فيها مالم أجده في مدن أخرى . سكينة ورغبة في التّأمل العميق مدية تُشبهني وأشبهها إلى حَدّ التّماهي ، كسولة مثلي ، ظريفة وفقيرة وفخورة بنفسها، لحارتها ونسائها ومقاهيها روائح قويّة ماتزال تدغدغ أنفي، فهي سراييفو الّتي تغازل زائرها من لحظة المقابلة الأولى، تميل إليه وتغريه بما استطاعت إليه سبيلا كي يظلّ فيها ولا يتركها** "[2].

وعليه فسراييفو واحدة من أكثر المدن الأوروبيّة حضورا في مُخيّلة الرّحالة، ليس فقط بسبب حرب التسعينات، بل نظرا لتاريخها الذي يتقاطع مع ذاكرة طفولته، ومن وحي رحلته إليها، سطّر خطيبي روايته " حطب سراييفو" التي عبّرت عن الجرح النازف في البوسنة .

ثالثا/ الذّات المرتحلة:

تنوّعت رحلات سعيد خطيبي في رحلته" جنائن الشّرق الملتهبة" عبر أماكن مختلفة في أرض الصّقالبة بدء من ليوبليانا، غراد، زغرب، سراييفو، سربرينيتشا، بلغراد، وصولا إلى كييف، لينقل لنا صورا مختلفة عن الآخر في بلاد البلقان، لاحظها في أثناء تواجده هناك، متوصّلا إلى مظاهر وعادات تختلف عن ذاته، وتعكس صورة الأنا العربي من خلال الآخر الغربي.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة** ، ص82.

(2) المصدر نفسه، ص92.

اكتشف خطيبي بعد ثلاثة أسابيع من ترحاله أنّ السّفر لا يُقاس بالمسافات فقط، وإنّما يُقاس أيضا بالحالات النّفسيّة التّي يستشعرها المرء، والتي تختلف بالانتقال من مكان إلى آخر، سواء كان قريبا، أو بعيدا، ويجد أنّ السّفر الأكبر ليس سفرا في الجغرافيا، بل هو سفر يعيدنا إلى ذواتنا، ويستشهد بمقولة الفرنسي إيبوليتتاين: "**نحن نسافر لتغيير الأفكار، لا لتغيير المكان**"(1).

يرسم خطيبي معالم المدن، مكتباتها، متاحفها، ويلتقي بأعمال أدباء قرأ لهم، فيشعر أنّه يلتقي بأصدقاء قدامى له في مدن بعيدة، يتوقّف في رحلته عند شخصيّات أثّرت في تاريخ المدن التّي زارها، والتّاريخ الحديث للعالم بقسطه الوافر ، كحديثه في أثناء رحلته إلى غراد عن الزّعيم" **تيتو**" الذّي تحوّل من مناضل شيوعي عادي، إلى رئيس واحدة من أكبر دوّل العالم الثّالث، ليتحوّل في النّهاية إلى مجرّد خيال سياسي ورمز للتّناقضات، حيث يقول:" **وتاريخ مشترك يمتدّ على طول نصف قرن، وزعيم واحد، بطل ونظير بطل يدعى تيتو(1980–1892) ،بين المدينة الأولى(بمعنى قلعة) و الثّانية (المدينة البيضاء) عاش الرّجل سنوات الصّمود والسّقوط، من مناضل شيوعي عادي إلى رئيس واحدة من أكبر دول العالم الثّالث، ليتحوّل في النّهاية إلى مُجرّد فنتازم سياسي، ورمز للتّناقضات**".(2).

يتجوّل الرّحالة في قصر تيتو البسيط، يتعرّف على مكتبته ومُقتنياته، ويتساءل في نفسه، إن كان الزّعيم قرأ الرّوايات واليوميّات والبيوغرافات للمتعة الشّخصيّة، أم للاستعانة بها في التّخطيط وصياغة الخطابات السّياسيّة الحماسيّة يقول:" **لفت انتباهي بعض الكتب البيوغرافيّة الضّخمة،**

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص15

(2) المصدر نفسه، ص37.

مثل بيوغرافيا ماو تسي تونغ، للكاتبة الصّينيّة هان سوين.....وإلى جانبها بيوغرافيا أدولف هتلر ....."[1].

يحكي سعيد خطيبي انطباعاته الأولى عن المدن وتغيّرها في أثناء التّجوّل والتّعرّف إلى تفاصيلها، كحالته في زغراب التي بدا له في الوهلة الأولى أنّ إيقاع الحياة فيها مُضطرب وعابس، وغيرُ مُنسجم مع سِمُعة المدينة التاريخيّة، ثمّ تتوارى تدريجيّا الانطباعات السّريعة إلى الوراء، فاسحة المجال للمعاينات الواقعيّة.

يتذكّر الرّحالة في كل مدينة يزورها جزء من بلده، ومن المدن العربيّة، فبثّ في كتابته عن المدن التي يزورها روحا وحياة فيها.

يقول خطيبي أنّه لا يشتري تذكارات أو بطاقات من المدن الّتي يزورها، لأنّه يشعر أنّ تلك المدن تتزيّن له، وتفتح أمامه أبوابها ونوافذها، وأنّه لا يشعر بنفسه سائحا، بل يحاول الانصهار في ليونة وصلابة الأمكنة الّتي يزورها، والاختلاط بأُناسها مباشرة، مع النّظر دائما من زاوية عرض واحد[2].

ويختم خطيبي رحلته في ميدان كييف، عاصمة أكرانيا في مهمّة صحفية إبّان الأزمة مع روسيا، فيكون شاهدا على ثورتها ويصف لحظة وصوله إلى الميدان "**وصلتُ الميدان المُطوّق بالمتاريس والعجلات المطّاطيّة والأسلاك الشائكة**"[3]، بعد عناء ليلة مضطربة من السّفر والانتظار، وينقل قلق

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص40.

(2) انظر :حسين هيثم، **سعيد خطيبي، رحلة في جنائن الشّرق الملتهبة**، أخبار ثقافة، الجزيرة نت.
http://culture.www.aljazera.net/author/hacenheytham

(3) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص131.

صديقه إيفان "**ومخاوفه من تقسيم البلد إلى ثلاثة أجزاء: (شرق وجنوب موالين لروسيا، وغرب مُوالٍ للاتحاد الأوروبي)**" [1].

ومن المفارقة أنّ الأزمة تجدّدت في 2022، وتفجّرت حربا دامية مع روسيا، ومازالت رحاها دائرة حتّى اللّحظة.

رابعا/ الذّات والوطن:

على الرَّغم من انتقال (**سعيد خطيبي**) إلى بيئة غير عربية، فإن العالم العربي ظلَّ حاضرا يَنْتَقل معه بعيوبه ومشاكله وهمومه، وبخاصّة بلده الجزائر الذي كان كلّما صادف شيئا ذكّرَهُ بِها إلاّ وقَفَ عنده، انسجامًا مع تصَوُّرِهِ للّرحلة على أَنَّهَا خروج من الذّات للقاء الآخر، وعودَةً للذّات، إنّها رحلة إلى الذّات عبر مرآة الآخر، إذ يقول في ذلك: "**هو سَفَرٌ يُعيدنَا إلى ذواتنا**"[2]، ولهذا مارس (**خطيبي**) شرطا إحاليا إلى الذّات كُلَمَا وجد فرصة فيما هو مقبل على اكتشافه، فكان مثلا كثير الإشارة إلى الجزائر كوطن الذّات الرّحلية، فبعض الأماكن التي زارها تشبه جزائر العشرية السّوداء، وجزائر الآن، فهو عندما انتقد الوضع الاجتماعي المزري في بعض الأماكن، أسقط الأمر على بلده، فالطّرق المهترئة المؤدّية إلى كرواتيا ذكّرته بطرق الجزائر القديمة يقول: "**الطّرق كانت مُهْتَرئة قديمة، وفي حاجة عاجلة إلى صيانة تملؤها حُفرٌ، وَمَطبّات في غير مكانها، بشكل يذكّرنا بوضعية الطّرقات في الجزائر**"[3]، وساحة الجمهورية بدورها ذكّرتْهُ بساحة الشهداء "**ساحة الجمهوريّة، التي تحمل عبق ساحة الشهداء في الجزائر العاصمة**"[4].

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص132.

(2)المصدر نفسه، ص15.

(3) المصدر نفسه، ص77.

(4) المصدر نفسه، ص113.

كان هناك حنين طاغ في إحالات الرّحالة إلى وطنه يُترجمه إحساسه بحي باشتارجيا في سراييفو قائلا: **"في باشتارجيا شممتُ روائح قصبة الجزائر العاصمة فالمنطقتان تعودان إلى الحقبة العثمانية"**[1].

كما اسْتَرْعَىَ انتباهه نظافة أسواقهم، مقابل فوضى أسواقنا العربيّة بالإضافة إلى اهتمام السلوفينيين بمعالمهم الأثريّة مقارنة مع لامبالاة وإهمال الأنّا لها، حيث يقول في ذلك: **"كان تجمّع باعة الخضر والفواكه والملابس (...) في سوق شعبية (...) ولما يغادر الباعة المكان فلن تجد وراءهم بقايا مرورهم ولا أكوام قمامات، مثلما يمكن أن تشاهد في الأسواق العربيّة..."**[2].

ومن أوجه التّشابه التي وجدها الرّحالة بين الأنا والآخر هي: الحرب الأهليّة، والإبادة الجماعيّة، والقتل على أساس العرق الدّيني، والهجرة بعيدا عن الوطن من أجل كسب الرّزق بعد أنّ ضاقت البلاد بأهلها، والدّيكتاتوريات، والحكم الشّمولي العسكري وغيرها يقرأ حلم الشّباب بالهجرة في سربرنيتسا لانسداد أفق العيش الكريم، وهو نفسه حلم الهجرة في الجزائر والشّمال الإفريقي، حيث يُقايض الشّباب حياتهم بحلم الهجرة، وكثير منهم ممن تتخطّفه الأسماك المتوحشة في المتوسط[3].

ويُعَاين الرّحالة جانبا مِمَّا خلّفته الإبادة والتّطهير العرقي عبر تَأمُل مفهوم ما يُسَمى بالوحدة الوطنيّة الذي يُحَيّدُ كل عوامل النّزاع والفُرقة، ويتجاهلها عندما يَتّكئ على حجّة تاريخيّة واهية، قائمة على مظنّة العيش والتّعايش بسلام، فالمسلمون، والمسيحيُّون، صِرْبيُّون، وبُوسنيون كانوا يعيشون في سلام معًا منذ قرون، ولكن مجازر عام 1995 شَكَّلت بينهم جدار فصل، وهو ما يسْتدعي العُشرية

(1)سعيد خطيبي، **الرّحلة** ، ص80.

(2) المصدر نفسه، ص56.

(3) أنظر: محمود العشيري، **عين على الصّقالبة، عين على الذّات**، م س، ص10.

السّوداء في الجزائر وأحداث القتل، والذّبح مجازر بن **"طلحة"**، **"سيديموسى"**، **"الرايس"** وغيرها **"الجزائر والبوسنة اتفقتا على فترة واحدة لعيش تراجيديامشتركة"**[1].

ومشاهدات انتفاضة الميدان في أوكرانيا فبراير 2014 لا تختلف عن مشاهدات الميادين واعتصامها في الرّبيع العربي المجهض، وما سيناريو الالتفاف على ثورات الرّبيع العربي ليس ببعيد عن سيناريو الالتفاف على الثّورات الأوكرانية كما تظلّ السّلطة الغاشمة المستبدّة في توحّشها هي السّلطة نفسها التي تسبّبت في زهق أرواح الشّباب، وسقوط عديد الضحايا، بما يدفع نحو التسّاؤل حول ما إذا كان الزّمن العربي يسير على خُطى الزّمن في البلقان[2].

وممّا لفت انتباه الرّحالة حالة الودّ والابتسامات الحقيقيّة المتبادلة بين رجل شرطة ومواطن عادي في العاصمة الكرواتيّة زغرب، ويتكرّر ذلك طول المسافات الفاصلة بين مدن مختلفة واقعة على جغرافيا البلقان، ستكون الملاحظة إشارة تقول إنّ **"كلا الطّرفان يشعران بأمان تُجاه الآخر"**[3] على العكس من الحالة العربيّة التي يغلبها منطق الأمر والنهي كطريقة لتسيير العلاقة المضطربة بين رجل الشّرطة والمواطن، والتي كانت سببا في اندلاع الانتفاضات الشّبابية بداية من تونس ووصولا إلى القاهرة.

وتبقى الذّات حاضرة في المسار الرّحلي عبر عقد مقارنات بين الأنا والآخر، ففي أثناء دخول الرّحالة قصر الزّعيم (**تيتو**)، خُيّلَ إليه أنه قصر لا يختلف عن قصور الديكّتاتوريين السّابقين في أمريكا اللاّتينية، أو في بعض الدول العربيّة **"بيت من حرير وجواهر"**[4] ، ولكن بمجرّد دخوله تغيّرت

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص99.

(2) انظر محمود العشيري، **عين على الصقالبة، عين على الذّات**، م س، ص11.

(3) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص57.

(4) المصدر نفسه، ص38.

انطباعاته واعتقاداته الذّاتيّة، فما وجده هو بيت بسيط بأغراض بسيطة وأفرشة، وجدران غير مُبالغ في تزيينها، وهو مالا نجده في قصور الزّعماء العرب، فالزّعيم كان يهتم بالقراءة لا البهرجة وذلك ما كان صادما بالنسبة للرّحالة، يقول في ذلك: **"للحظة تخيَّلتُ أنّ (تيتو) الذي يحكم بلدا بحجم قارّة لم يكن لديه الوقت الكافي ليقرأ شعرا"**[1] والشئ الذي اثار انتباهه في قصر تيتو **"هي المكتبة التي تكشف عن روح مبدع...يكفي أنَّه كان يجد وقتا ليقرأ، في انتظار أن يخبرنا رؤساء العرب أيضا ماذا يقرؤون"**[2]، فالقراءة تكاد تكون شبه منعدمة عند الحكام العرب، وهو ما تميز به الزعيم **(تيتو)** عن الأنا العربي **"الزعماء العرب"**.

ويستحضر الرّحالة ذاته عند البرلمان الكرواتي، الذي يختلف تماما عن البرلمان العربي، وذلك من خلال الحراسة الأمنيّة التي كانت تقتصر على شرطين اثنين، رجل، وامرأة، كانا يقومان بدور المرشد أكثر من مُهمتهما الأمنيّة، يُرشدان المارّة بابتسامات عريضة، هذه الصّورة المثالية تختلف تماما عن النّمط العربي الذي تعوّدت عليه ذات الرّحالة **(الخطيبي)**، يقول في هذا الصّدد: **"مقرُّ البرلمان يختلف تماما عما نراه حول برلمانات عربيّة حيث الحراسة الأمنيّة تقتصر على شُرطيين، رجل، وامرأة كانا يقومان بدور المُرشد السيّاحي"**[3].

وفي معرض حديثة عن عدم احترام الوقت عند الكرواتيين في أثناء مروره حدود كرواتيا، وتفتيش الشّرطة له، ومراقبة جواز سفره، تعجّب من التّشابه بينهم وبين الجزائريين قائلا: **"الانتظار في العُرف الكرواتي يشبه الانتظار عند العرب،غير مُحدّد زمنيًّا"**[4].

(1) سعيد خطيبي، **الرحلة**، ص40.

(2) المصدر نفسه، ص41.

(3) المصدر نفسه، ص57.

(4) انظر: رواية شاوي، **وصف المدن في أدب الرّحلة الجزائرية المعاصرة، جنائن الشرق الملتهبة، م س، ص13**.

وقد أشاد الرّحالة بالاهتمام الكبير بالغطاء النّباتي الأخضر الذي يُميّز معظم المناطق السّلافية،" **لم تقع عيناي ، على امتداد ساعة من الزّمن، سوى على لوحات خضراء شاسعة ، من مزارع وغابات كثيفة ممتدّة، تكثر فيها أشجار الراتنج الشوحي....فقَطعُ شجرة من دون إذن يُعَدُّ جُنحة لا يتسامح معها المُشَرّع**"[1] السلوفيني، عكس البلدان العربيّة الخاضعة لسماسرة الغابات والمساحات الخضراء الذين حوّلوها إلى مساحات شاسعة من الخُرسانة التّي ينذر فيها اللّون الأخضر.

موقف آخر، وصورة أخرى تثبت حضور الذّات (ذات الرّحالة) من خلال مشهد شابّة في العشرينات تحاول تنظيم زحمة السّيارات المتدافعة في محطّة البنزين، فوضى عارمة، صراخ، وأصوات متطايرة، انطباع يشبه ما يحدث في بلاد العرب (الجزائر).

ممّا سبق يمكننا القول أنّ هذه الأوجه من التّشابهات هي بعض أهمّ ما استقطبت نظر الرّحالة، فراح يتوقّف عندها من آن إلى آخر، كلّما تنقّل من مكان لآخر .

خامسا/ الذّات الاجتماعية:

تتجلّى صورة الذّات اجتماعيا في رحلة (**خطيبي**) في الظّروف المعيشية الصّعبة التي يعيشها سكان سراييفو فعلى الرّغم من أوربيتها، إلاّ أنّ الوضع العام فيها لا يُشجّع على العيش الجيّد بها، فنسبة البطالة مرتفعة كثيرا، فرص العمل شحيحة جدّا، إضافة إلى أنّ" **الدّراسة والنّجاح لا يؤهّلان إلى العيش الرّغيد، خاصة وأنّ المؤسّسات الرّسمية المحليّة والدوليّة ترفض الاعتراف بشهادات بعض الجامعات والمعاهد الخاصّة المنتشرة في المدينة**"[2].

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص31.

(2) المصدر نفسه، ص85-86.

تشابهت الأوضاع المعيشيّة بين الأنا والآخر إذْ يقول في ذلك: **"سراييفو تغطّي خجلها من فقدها بصورة سياحيّة لامعة"**(1).

كلّ شاب يحلم بالهجرة إلى البلدان الأوروبيّة حاله حال الأنا العربي (الجزائري) الذي يشعر بالحاجة إلى السّفر حتى يحقّق أحلامه.

يشبّه (**خطيبي**) أكلة تشافابتشيفي بالكارنتيتا؛ إذ يقول: **"تشافا بتشيفي تكاد تكون الوجبة السّريعة القوميّة في البوسنة، وهي نظير الكارنتيكا في الجزائر"**(2).

ويشبّه في موضع آخر حلوى "كرامشنيتا" بحلوى الميلفاي في الجزائر "**بعد الرّحلة القصيرة إلى البحيرة، جلستُ في مقهى مُجاور، واقترح عليّ النّادل من تلقاء نفسه، بعدما سلّمني قائمة الطّعام، أن أُجرّب 'كرامشنيتا' وهي حلوى المنطقة الشّهيرةّ تشبه قليلا حلوى 'ميل فاي' الفرنسيّة**" (3).

أمر آخر تشابهت فيه الذّات مع الآخر في ضرب الحكايات الشّعبيّة، فهناك قول سلوفيني يقول: **"إن من يسبح في ماء بليد لا بد وأن يعود إليه ثانية، خرافة شعبيّة تشبه ما قيل عن نبع عين "الفوارة" في سطيف التي تقول أنّ من يشرب منه لابد أن يعود إليه مرّة أخرى"**(4).

اندهش "سعيد خطيبي "ممّا رآه في سلوفينيا حيث كان يعتقد أنّ الحِشمة مُنعدمة في أغلب الدّول الأوروبيّة، لكن ما لاحظه في شواطئها، بيّن له عكس ذلك تماما، فقد انكسر ذلك الاعتقاد

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، 87.
(2) المصدر نفسه، ص81.
(3) المصدر نفسه، ص34.
(4) المصدر نفسه، ص34.

بأنّ الآخر(الغرب) يحمل عادات مخلّة بالحياء، وبنى الأنا "سعيد خطيبي" تفكيرا جيّدا، وهو أنّ بعض الدّول الأوروبيّة (الغرب) تلتزم وتتمسّك بتعاليم الكاثوليك الموروثة عن أجدادهم.

كذلك انبهر الأنا "سعيد خطيبي" ممّا رآه في مساجد كرواتيا حيث كنّ النساء يتزاحمن مع الرّجال، ولا يوجد فاصل أو حاجز بينهم، على خلاف ما اعتاد عليه في المساجد الجزائرية خاصّة، والعربيّة عامة حيث يقول:"**ما شدّ انتباهي أكثر هو موقع النّساء من المسجد، لم يكن بينهنّ، وبين الرّجال حاجب ولا عازل، أو فاصل إسمنتي كما نراه عادة في المساجد العربيّة**"[1] فهذه النّقطة ميّزت وكشفت نقطة الاختلاف بين الأنا العربي (المسلمون العرب)، والآخر الكرواتي (المسلمون الكرواتيّون).

يتّضح مما تقدّم أنّ الحدود بين الذّات والآخر هي حدود نافذة يتداخل، ويختلط فيها كلا الطرفين معا.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة** ،ص66.

الفصل الثّالث: صورة الآخر في "جنائن الشّرق الملتهبة رحلة في بلاد الصّقالبة"

أوّلا: القضايا العمرانيّة

1-وصف المدن

2-الجسور

3 -المتاحف

4 -الحدائق

5 -الجغرافيا والطّبيعة

ثانيا: القضايا التاريخيّة

1-القصور والقلاع

2 -تحوّلات تاريخيّة

3 -تجاور الحياة والموت

ثالثا: القضايا الثّقافيّة

1 -الأدباء والمراكز الثّقافيّة

2 -القراءة والمكتبات

3 -التّماثيل والمحمول الثّقافي

4 -المسرح

رابعا: القضايا الدّينيّة

1-دور العبادة

2-حرية المعتقد

خامسا: إيجابيّات المجتمع البلقاني وسلبيّاته

1-الإيجابيّات

2 -السّلبيّات

أ-التفاوت الاجتماعي

ب -الفوضى العبثيّة

توطئة:

الأنَا المرْتحلة نحو الآخر/الغرب، هِيَ العربِيّ عِرْقًا وقوميّة، والمُسْلِمُ دِينًا وعقيدة، والمشرقِيّ والمغرِبِيّ جغرافيّة، والهويّة المثقّفة النّخبويّة، حَمَلت رِسَالة ومَشروعًا، واتّجهت صَوْبَ فَضاءات حَضاريّة واضِعَة فِي مَسَارِهَا الرّحْلي منهجيّة؛ بدايتها الاكتشاف ثُمَّ الفَهْم والاستيعاب، فالتّفسير والتّأويل للوصول إلى المرْحلة الأخيرة، وهِيَ الاقتباس أو كيفيات الاستفادة، فرحلة الأنا هِيَ اكتشاف مُزْدَوج للذّات والآخر.

فالتّواجد الأُحادي أصبح مُعادلة غير مُمكنة ومُسْتَحِيلة التّحقيق والإنجاز، وكلّ مِن الأنا والآخر يريد البقاء والتّواجد ضِمْن هَذِه الثّنائيّة، فالأفراح والمسرّات تتضاعف بالمشاركة وكذا المآسِي تُخفّفُ بالتّقاسم والمشاركة، وَهَذَا يتحقّق ويتجسدّ بالعلاقة بين الأنا والآخر.

يُعتبر الوصف من الأساليب الضّروريّة فِي الكتابة السّرديّة، وخاصّة عِنْدمَا يتعَلّق الأمر بالنّص الرّحلي، كونه المناسب لنقل الصّورة عَن المكَان المرتحل إلَيْهِ؛ فهو أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء فِي مَظْهَرهَا الحسّي، ويقدّمها للعين[1].

وَهَذَا مَا قامَ بِهِ الرّحالة (**سعيد خطيبي**) فِي نقله صورة الآخر، وقَدْ تَمَاشَى الوصف مع السّرد ليُنتج نصًّا حيويًّا فِيه حركة، فالرّحالة يكتب أدب الرّحلة كما يكتُبها الأجانب دُون تكلّف ولا مبالغة، وفِي الوقت ذاتِهِ يُحَاول أن يستنطق الأمكنة، مُحَاولاً بذلك قراءة ملامح النّاس بطرقٍ تشدّك، فَتَشْعُر وَكَأنّهُ يُحَلّل مَلاَمِح النّاس لاَ يكتبها ومِنْ ذَلك وصفه للفتاة الّتِي سَافرت مَعَهُ عَلَى متن الطّائرة فِي قَوْلِهِ: "**لَكِنّ الشّابة الأوراسيّة الملامح لَمْ تتعجب مِنْ هُوّيتي**"[2]. ووصفه أيضًا لتلك المراهقة الّتِي صَادَفَها، فَلَمْ يُفَارِقْ وجْهَها مخيّلته لأنّها كانت حَامِلاً لَكِنّها تتعامل مَع الأمر ببسَاطة وتبتسم.

(1) انظر: سيزا قاسم، **بناء الرّواية، دراسة مقارنة فِي ثلاثية نجيب محفوظ**، مكتبة الأسرة، (د، ط)، 2004، ص111.
(2) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص22.

ووصف النّادلة في المقْهى فِي قوله: "**(أنيلا) فارهة القامة**"[1]، ووصف (**إيفانكا بوديسافليتش**) (1924-2013) زوجة الزّعيم (**تيتو**) وَصْفًا مَادِيًّا ومعنويًّا فِي قَوْلِهِ: "**كانت شابّة وسيمة بشعر طَويل وذهنيّة عسكريّة خالصة. عَملت ممرّضة وتدرّجت فِي سلُّم التّرقيات وصارت ضابطة**"[2].

لربّما المواقف بسيطة لأشخاصٍ آخرين لكنّها فتحت لَهُ بابًا لعديد التّساؤلات حتّى كتب هَذَا مؤمنًا بأنّ المواقف البسيطة هِيَ الّتِي توصل للأمور الكبيرة، المتمثّلة فِي عبثيّة الحياة، المواقف الكبيرة الجميع يعرفها لَنْ تحتاج توصيفًا أو شَرْحًا.

أوّلاً: القضايا العمرانيّة

1- وصف المُدن:

اهتمّ أدب الرّحلة بالمدن؛ وَوصْف ملاَمِحها ومَعَالمها ومنشآتها المختلفة كالعمران والشّوَارع والمعالم والآثار...فكان الرّحالة عين الشعوب والمجتمعات المختلفة الّتِي تريد مَعْرِفة الآخر الأجنبي عَنْها، والمختلف لغويًا وعقديًا وعرقيًّا...لعب دورا كبيرا فِي تقريب الشّعوب وإعطاء أوصافٍ دقيقة لمشاهَدَاتِهِ العيانيّة كما هِي. فجاء الوصف واقعيّا صادقًا مفصّلاً، فالتّركيز عَلَى التّفاصيل والمكوّنات لكلّ ما يلاحِظُه، كَانت طريقته فِي التّعريف بالمناطق وما فِيها، فمعايشتِه لجَمِيع تلك العناصر، وانتقالِهِ لكلّ الأماكن الموصوفة جَعَل الوَصْف يُطبَع بالخصوصيّة والدّقّة والكثافة.

يمارس (**سعيد خطيبي**)، الحسّ الاستطلاعي للكاتب الصّحافِي، ليكشف عَنْ الجوانب الخفيّة للمدن والّتِي عَادة لا ينتبه إليها السيّاح الذِين تشدّهم الوَاجِهات، وذلك بكشف الحُجُب المزّيفة للمدن والتّوغل فِي وَاقعها وواقع حياة سكانها البُسَطاء.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص41.

ما يُلفت الانتباه أنّ الرّحالة أولى عناية مطلقة للمدن السّلاَفيَة الّتِي سَافَر إليْها؛ إذْ عنون فُصُول رحلته بأسماء المدن بدءً من ليوبليانا عاصمة سلوفينيا، وبلدة غراد، وزغراب عاصمة كرواتيا، وسراييفو عاصمة البوسنة، ومدينتي موستار وسربرينيتسا وبلغراد عاصمة صربيا، وكييف عاصمة أوكرانيا، واللافت للانتباه فِي وصف (خطيبي) للمدن الّتِي زَارها؛ لَيْس تركيزه عَلَى ماديّة المكان ومكوّناتِهِ فقط، بل لروحِهِ وكيميائِهِ، وما يحدثه فِي النّفس مِنْ أثرٍ وشعورٍ وانطباعٍ، حَتّى لَقَدْ ذهَبَ إلى أنسنة المدن واستنطقَها أو قَرأ أفكارها، ومَا تَمُور بِهِ دواخِلها مِنْ آلام وآمالٍ وقَلَقٍ واضطرابٍ وخَوْفٍ. وكانت كل مدينة مُخْتَلِفة عَنْ سَابقتها، حاملة طقوسها ومعالمها وملامِحها.

كان الرّحالة كثير العودة إلى الجزائر وطن الذّات الرّحلية فنجد الْحنين إلى الوطن طَاغٍ يُترجمه التشبيه بين ساحة الجمهورية وسَاحة الشّهدَاء **"ساحة الجمهوريّة الّتِي تحمل عبق ساحة الشهداء فِي الجزائر العاصمة"**[1]ومفردة العبقِ تكشف هَذَا المستوى من الحنين والشّجن. وأيضًا عِنْدما وَصَفَ إحساسه أثناء تواجُدِهِ بحي بشتارجيا فِي سراييفو **"فِي بشتارجيا شممت روائح الجزائر العاصمة"**[2]، ومدينة باشتارجيا تعني بالتّركيّة شارع التّجارة، وَهِيَ عبارة عن شارع مُكتظّ بالمحلاّت والمطاعم والمقاهِي، وهِيَ مركز المدينة المستيقظة لَيْلاً ونهارًا، تتميّز بأكلتها الشّهيرة **(تَشَافَا بتْشِيشِي)** الّتِي تشبه طبق (الغرانتيتا الجزائريّة).

كما تحدّث عن مدينة زغرابْ بأنّها تحمل المتناقضات، لها حالات متعّددّة ففي النّهار تبدو الحركة عاديّة والنّاس إمَّا مَاشُون فِي مشاغلهم أو جَالِسُون للأكل والشّرب، أمّا مسَاءً فالوضع يتغيّر بتزايد الحركة والصّخب.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص113.

(2) المصدر نفسه، ص80.

أمّا الأحياء الهامشيّة فَلَمْ يهتم بها الرّحالة إلاّ مَا جَاءَ عَرَضًا، فقد وصَفَها بأنّها: **"أحياء سكنيّة قديمة تتميّز بحيطانها المهترئة، والمليئة بالخربشات والغرافيكي المكتوبة باللّغة الصّربو-كرواتية-مع زوايا متفرّقة تتكدّس فِيها قارورات الخمر والقمامة"**(1).

كمَا حرصَ (**سعيد خطيبي**) في مشاهداته للمدن على الاطّلاع على أهمّ مَعَالمها المُشكّلة لهُويّتها **"كالمَتَاحِفِ والمكتبات ودور العبادة والجسور والقلاع..."**(2) حيث نجده لم يُغفل هذه التفاصيل لما تحمله من أهمية ..

2- الجسور:

توجد بالمنطقة جسورا منها: الجسر الّذِي يَصِل بَيْنَ ضفّتَيْ نهر (سافا) القادم من سلوفينيا والّذِي يُعَتبر موردًا مُهِمًّا لغالبيّة الأَرَاضِي الزرّاعيّة، وجسر (مُوسْتَار التّاريخي) وَهُوَ الجسر الأشهر فِي البلقان أو (شتاري موستار) بالبوسنيّة (الجسر العتيق) الَذّي يَعُود إنجازه إلى (القرن 16م، 1556) فهو معبر تجاري يرّبط بين طرفِي المدينة، **"وَهُوَ يشبه فِي جاذبيته قنطرة لحبال في قسنطينة مَعَ فارق زمني، واهتمام بُوسني يفوق اهتمام الجزائر بمعالمها"**(3) و عليه فالآخر دائما يولي أهميّة خاصة لمعالمه لما تحمله من قيمة.

3- المتاحف:

رسالة كلّ متحف فِي العالم هِيَ حماية التّراث والأعمال الفنيّة ذات القيمة التراثيّة والعلميّة والثّقافيّة، غالبًا ما تكون محليّة ووطنيّة.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص50.

(2) انظر: بوشعيب السّاوري، **"جنائن الشّرق الملتهبة" سفر الذات عبر مدائن الآخر**، مجلة العرب، صدرت يوم الأربعاء 25-05-2016، العدد 10286، ص14.

(3) سعيد خطيبي، **الرحلة**، ص90.

تحرص المتاحف على تقديم الشّروح التّامّة لجميع محتوياتِهِ فِي قوالب وأساليب فنيّة.

فمن المشاهدات الغريبة الّتِي لفتت انتباه الرّحالة (**خطيبي**) مَا شاهَدَهُ فِي مدينة "زَغْرَاب" قُرب متحف الفن الفطري **museum of naïve artt**، إِذْ يوجد متحف آخر غريب بعض الشّيء، حيث عُلّقت لافتة كبيرة على مَدْخل بناية صَغيرة كُتِبَ عَلَيْها **"متحف العَلاَقَات العَاطِفيّة المنْتَهِيّة" museum if frohen relation ship**، **"وهي عِبَارة جذّابة، تعتلي صورة فتاة صغيرة، بتنّورة خضراء فاتحة اللّون، تَحْمِل بَيْنَ يَدَيْها رسالة أغْلِقَتْ بِقَلْبٍ، وهو متحف يُؤرّخُ لعلاقات الحُبّ المنتهيّة لأسْبَابٍ مختلفة، وتَسَاءل الرّحالة عن كثرة العلاقات المنتهيّة فِي الوطن العربي"**[1]والتي تكون فِي أغلبها بسبب الطّابع الذّكوري وفِي حالات كثيرة تأتي القطيعة من الرّجل قبل المرأة، حَيْث يَكْفِي أنْ تُخطئ مَرَّةً وَاحِدَةً لتَجِد نفسها مطلّقة.

إن وجود مَتْحف فِي البلاد العربيّة لِهذا الغرض يَكَادُ يَكونُ أمْرًا مستحِيلاً، بحُكم أنّ العلاقات الثنائيّة بَيْنَ الجنسينْ خارج إطار الزّواج تدخُل فِي خانة الممنوع.

نجد متحف "تاريخ يوغسلافيا"، المتحف الأشهر فِي البلقان الّذِي يضمُّ كل أغراض الزّعيم الأسبق (**تِيتُو**) الثمينة وَرُفَاتِهِ. قال (**خطيبي**): **"كنت في سلوفينيا قد زُرْت قصْرًا مِنْ قصور (تيتُو)، ...وفِي بلغراد مِن الضّروري أنْ أزُور متحف مقتنياته الثّمينة، التي تنازلت عنها أرملته إيفانكا بروز لتُعرض أمام الجمهور "**[2].

(1) رواية شاوي، **وصف المدن فِي أدب الرّحلة الجزائرية المعاصرة "جنائن الشرق الملتهبة رحلة فِي بلاد الصّقالبة" لسعيد خطيبي**، جامعة 8 ماي 1945، قالمة-الجزائر ص14.

(2) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص 117.

يتضح مما تقدّم أنّ المتحف وعاء الماضي الثّقافي والحضاري الذي لا يمكن تجاوزه، أو العيش دونه، فهو لايحتفظ بالتّاريخ فقط، بل يتكفّل بتنشيط الذاكرة الثّقافية التاريخيّة، وبعث المبادرة فيها من أجل استلهام الماضي لبناء المستقبل[1].

4- الحدائق:

يَقول (**خَطيبي**) تُوجد عدّة حدائق منها: "**الحديقة العامّة، الّتِي يقصدها مسَاءً ونهاية الأسبوع، العُشّاق والعائلات، والصّعاليك، والباعة المتجوّلون**"[2].

ويَقُول: " **زُرت تحت الرّذاذ حديقة المدينة البوتانيّة، حَيْث تلتقي مئات الأنواع النباتيّة القادمة من قارّات العالم الخمس، والّتِي تحْيَا تحت ظروف اصْطناعيّة، فِي مناخ المدينة القارّي**"[3].

فالسّيَاحَة قِطاع يُسَاهِمُ بحصّة مُعتبرة فِي الدّخل القومِي وتُعدّ كرواتيا قِبلة آلاف السّياح سنويًّا 11.8 مليون سائح عام ألفان واثنا عشر 2012م.

5- الجغرافيا والطبيعة:

يقول (**خطيبي**) عِنْد انتقالِهِ مِنْ مكانٍ لآخر، ومِنْ مدينة إلى أُخرى لَمْ تقع عيناي عَلَى امتداد ساعة مِنَ الزّمن سِوَى عَلى لوحات خضراء شاسعة من مزارع وغابات كثيفة ممتدة ..."**وقطع شجرة مِنْ دون إذن يعتبر جُنحة، لاَ يتسامح مَعَهَا المُشرّع، تمنيت لَوْ أنّ دُولاً عربيّة اقتبست مِنْ**

(1) انظر: مكي سعدالله، **الأنا والآخر في أدب الرّحلة– دراسة نقدية مقارنة–**، أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، جامعة باتنة، 2016-2017، ص328.

(2) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص50-51.

(3) المصدر نفسه، ص70.

سُلوفينيا القانون نفسه وفرضته عَلَى سَماسرة المساحات المزروعة، الذِين حوّلوا كثيرًا من المدن العربيّة إلى مِسَاحات شاسِعَةٍ من الخرسانة، ينذر فيها اللّون الأخضر"[1].

كما عبر (**خطيبي**) الحدود الفاصلة بين دولتي سلوفينيا وكرواتيا، وفِي طريقه إلى كرواتيا بدأت زخّات المطر تهطل بشكل مُتقطعّ...جُغرافيا كرواتيا التي لا تختلف كثيرًا عن جغرافيا شمال إفريقيا، بقمم جِبَالها العالية ومشاهد القُرى والأرياف المتناثرة والأراضي الزراعيّة الخصبة.

ثانيا: القضايا التّاريخيّة:

1- القصور والقلاع:

احتلّت القصور مكانًا مُهمًّا فِي الرّحلة إذْ إِنّهَا مِنْ بَيْن أهمّ محطّات الرّحالة لِتَجذّرها عَبْر التّاريخ، وتمثيلها لحضارة كاملة معبّرة عَنْ مَاضٍ سَالِفٍ بِمَا فِيه، وقد ذُكرت القصور فِي الرّحلة، وبرزت مِنْ ضمن الأماكن الّتِي زارها (**خطيبي**)، وعَبّر عَنْ مَدَى شوقِهِ لِرُؤْيتها مَعْنوِيًّا، غراد مدينة الزّعيم (**تيتو**)، فِي هَذِهِ المدينة الأثريّة، الّتِي بِهَا (قصر تيتوُ) –الزّعيم–(**جوزيف بروز**)(1892-1980) الّذِي يحتوي عَلَى أَسْرَارِه، هَذَا الرّجل المتميّز بحبّهِ للعلم والأدب وقد عُلّقت عَلَى جدران قصْرِهِ البسيطة الزّينة، لوحات لأشهر الفنّانين اليوغسلاف والعالميين، وبخاصّة فنّانو الموجة الوَاقعيّة مِنْ أمثال (**إيفانا كوبيلاتشا**)، ولوحة بورتريه (**موليير**) الّتِي حيّرت الرّحالة، وربطت علاقة (**تيتو**) بالمسرح والفن والإبداع عُمُومًا.

ونَعود إلى مدينة "ليوبليَانا" مدينة **"القلعة التّاريخيّة" ليوبلزنسكي غراد ljubjanskigrad**، **والّتِي نصل إليْها بعد قطع نَهْر"ليوبليانيتسا"**[2]... وليوبليانا تتزين لزوّارها

(1)سعيد خطيبي، **الرّحلة** ، ص31-32.

(2) المصدر نفسه، ، ص23.

بتزين قلعتها، مقرّ إقامة دوقيّة كَارْنثيا قديمًا، والواقعة على رُبوة، تسرقُ انتباه السّائح وتُلِحُّ عَلَيْهِ بزيارتِها، تشتهر المدينة بِهُدُوئِها، تشبه مدينة فيّينا وبرلين.

انبهر الرّحالة بقلعتها مَعَ **"أنّها من الدّاخل تبدو عاديّةً جدًا بباحة واسعة وأعمدة رومانية وفسيفساء معمارية متنوّعة**[1]وعدّها سمة فارقة فِي المدن؛ إذْ عُدّت الْقلعة بطاقة هويّة المدن الأوروبيّة عمومًا، **و"مدينة بلا قلعة تُعتبر مدينة "يتيمة" أو مغْضُوبًا عَلَيْهَا"**[2].

وعليه، فإنّ توظيف هذه الأماكن (القلاع والقصور) تعدى البعد الزمّاني والمكاني لها ومكّن المتُلقّي من تكوين صورة عن المجتمع في المرحلة الماضية والآنية.

2- تحوّلات تاريخيّة:

حَرص (**سعيد خطيبي**) فِي مُشاهَدَاته للمدن عَلَى الاطّلاع عَلَى أهمّ مَعَالمها مبرزًا مَا شهدته من تحوّلات، وكيف أخذت أدْوَارًا جديدة عَلَى إثر مَا طال المنطقة مِنْ تحوّلات مثل: تحوّل بعض دور العبادة إلى نقاط جذب سيّاحي لا ديني.

فتحوّلت القلعة التّاريخيّة **"ليوبلزنسكي غراد"** ومَرَّت بعدّة مَرَاحل، فمنذ بنائها فِي القّرن (الثّانِي عشر 12م) تحوّلت إلى مستشفى عسكري فِي القرن (18م)، ثُمَّ إلى سجن وبعد الحرب العالميّة الثّانية استعادت هويّتها السيّاحيّة والثّقافيّة بداية من التّسعينيات، وأصبحت حَاضِنَة لعديد الأنشطة الثّقافيّة والفنيّة.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص25.

(2) المصدر نفسه، ص23.

نلمس مِنْ خلال وَصف (**خطيبي**) للقلعة الّتِي تمثّل أحد أهمّ الرَّوافد التّاريخيّة للمجتمع السّلوفيني–أنّ هَذَا الأخير مجتمع يحاول أن يحافظ عَلَى الهويّة التّاريخيّة الّتِي تشكلّت مَعَ مُرور الزّمن ويرفض التفريط فِيها، ويحاول فِي نفس الوقّت التكيّف مَعَ المتطلّبات والضّروريات الّتِي يمليها واقع العصر حيث أنّه جَعَل من "القلعة" مستشفى عسْكري فِي عزّ الحرب العالميّة ثُمَّ سِجْنًا[1]. وبَعْدَ أَنْ وضَعَتْ الحرب أوزارها تَمَّ تَحْوِيلها إلى مزارٍ سيّاحِي، وفِي ذات الصّدد نستشفّ أنّ المجتمع مجتمع براغماتي يبحث عن المنفعة العامّة بالخُصوص عِنْدمَا تمَّ تحويل القلعة إلى مقر لمختلف الأنشطة الثّقافيّة لتَعُودَ بالنّفع مِنَ النّاحية الاقتصاديّة، وتحرّك عجلة الثّقافة الّتِي كانت تعاني من رُكودٍ فِي ذلك البلد الْخارج لِتوّهِ مِنْ دائرة الحروب.

يقول (**خطيبي**): "**فكّرتُ فِي زيارة واحدٍ من أهمّ معالم البلد الطّبيعيّة والسيّاحيّة "بُحيرة بليد**"[2] فهي منطقة جالبة للزّوار فمن غير الممكن زياردة سلوفينيا دون السباحة فيها ، "**ولا يتمّ زيارة سلوفينيا من دون السّباحة فِي مائها**"[3].

دون أن ننسى زيارة الكنيسة، الّتِي تتوسّط البحيرة عَلَى الجزيرة الوحيدة فِي البلد؛ "**الّتِي تحوّلت مَعَ محيطها العام إلى نقطة جذب سياحِي لا ديني لالتقاط الصّور وتأمّل جمال المكان الجنائي الّذِي يلفّها**"[4].

(1) انظر، دهلي أحمد، نعار محمد، **صورة الآخر البلقاني في رحلة سعيد خطيبي المسماة جنائن الشرق الملتهبة في بلاد الصقالبة**، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، ع2، 2021 ص503 .

(2) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص31.

(3) المصدر نفسه، ص ن.

(4) المصدر نفسه، ص33-34.

كما نجد تحوّل بيت من بيوت الزّعيم الأسبق (**تيتو**) الصّيفيّة إلى فندق ومطعم فِي قوله: "**أشَار بيَدِهِ إِلَى بناية ضَخْمة، مكرّرًا عَلَى أسْمَاعِنا مَرّتين أنّها كَانَتْ بيتًا مِنْ بُيُوتِ الزّعيم الأسبق (تيتو) الصّيفيّة بناه عَام 1947م ...قد تحوّلت إِلَى فندق ومَطْعم**"[1].

كَمَا تحوّل "حَيْ مِيتيلكُوفا" الّذِي كَان حيًّا عَسْكريًّا إِلَى مركز ثقافة الأندرغراوند بعد استقلال سُلُوفينيا. والموسيقى البديلة ومقرًّا لعدد من الجمعيات الثّقافية "**ويُصنّفُ بداية من 2005 ضمن التّراث الوطني على أنّه معرض فنّي مفتوح على الهواء الطّلق ...بشكل أعاد إلى ذاكرتي ملامح حارات برلين الشرقيّة**"[2].

نستخلص مما سبق أنّ التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها دول البلقان حولتها عن ماضيها و قرّبتها من العالم الرّأسمالي.

3- تجاور الحياة والموت:

وجد الرّحالة أن سكان سراييفو يعيشون حياتهم دون مبالاة بما يدور حولهم من مشاهد مُرعبة للقبور الجماعيّة "**خلف سور صغير مُتَهاو، حوالي عشرة قبور مُصطفّة خلف بعضها بعضا، قبور مسلمين بشواهد بيضاء...قبور ورائحة موت تتوسّط حَيًّا سكنيّا، وأمام فندق يُسمّي نفسه فندقًا سياحيا...**"[3].

فالمقبرة أصبحت معلما لا يختلف عن المعالم الأخرى تعبّر عن مأساة عاشها سكان المنطقة، كان الناس يدفنون شهداءهم قرب بيوتهم خوفا من مهاجمة العدّو لهم إذ يقول: "**في عاصمة البوسنة**

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص33.

(2)المصدر نفسه، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص83.

والهرسك الموت والحياة يتجاوران، ويتصالحان، في كلّ لحظة، الموت يُعانق الحياة، والنّاس تواصل يوميّاتها دونما مبالاة ..."[1].الحياة مع القبور أصبحت عاديّة، وفي أحد السّهرات نصَّب مقهى مجاور للمقابر شاشة عملاقة لنقل مباراة مصيرية لكرة القدم جمعت فريقي البوسنة وسلوفاكيا في تصفيات كأس العالم 2014، بعد نهاية المباراة، وفوز البوسنة، تحوّلت الساحة إلى مسرح كبير من الأهازيج والأغاني حتى **"كاد الموتى المجاورون أن يصحوا من نومهم ويُشاركوا الأحياء فرحتهم"**[2].

وعليه أصبحت القبور جزءًا ثابتا من المنظر العام، ومن حياة السكان.

ثَالثًا: القضايا الثّقَافيّة

1- الأدباء والمراكز الثقافية:

عرّفنا الرّحالة بأهمّ كتّاب كرواتيا وشعرائها وأدبائها...مِنْهم رَائد الأدب المقارن (**بَافَاو فافليتشيش**)، في أهمّ أعْماله النقّديّة والرّوائية منْها **"الرواية المنسيّة" (1996م)**، و**"رواية كاليغرافيا"(1993م)**، وهُما روايتان بوليسيّتان، إضافة إلى الشّاعرة (**إيفانكا بودْرُوجيتش**) بروايتها **"فندق زاد"(2010م)**، والكاتبة (**دُوبرَاوْكَا أُوغريشيتش**) المختصّة في الأدب الرُّوسي منْ روايتها **"وزارة الألم"(2004م)** و**"لاَ أحد يرَدُّ عليكم"(2005م)**، إضافة إلى الكاتب المحلّي (**ميروسلاف كَرْليجا**) (**1981م-1893م**)، صاحب المجموعة الشّعريّة **"ترّاهات باتريْسا كيروميو"**.

وَمِنَ المراكز الثّقافيّة التّي أشارَ إليْها (**خطيبي**) الأكاديميّة الكرواتيّة للعلوم والفنون التّي تَعُودُ إلى سنة (1866م) إضافة إلَى **" بيت تُروبار الأدبِي"** وهُو مُؤسسة ثقافيّة زُيّنت جدرانها بلوحات ومنحوتات ممّا أعْطَى للمكان نَوْعًا من الدّفء والحميميّة، وهَذَا البيت نسبة للشاعر (**بريموشتروبار**)(1508م-1586م)، وَهُوَ رجل دين ونحوي واضِع قواعد اللّغة السّلوفينيّة.**"إذْ تُعدّ**

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص 83.

(2) المصدر نفسه، ص85.

اللّغة أهمّ عنصر مِنْ عَنَاصر هُوِيَّة البَلد"[1] وبهذا الشكل قد أثري الرّحالة كتابه بكَمّ هائل من المعلومات حول الرموز و الأعلام و الشّخصيات السّياسية و الثّقافية وبشكل واسع الشّخصيات الأدبيةّ بحكم ميوله.

2- القراءة والمكتبات:

انطلقت **"الأنا"** نحو فضاء **"الآخر"** وهِيَ مُحمَّلة ومشيّعة بمرجعيّة دينيّة وثقافيّة تحثُّ على فعل القراءة، كقيمَة عامّة نَسَق للمعرفة، لتحقيق غاية سامية هي معرفة الذّات والكون، اللّذان لا يمكن إدراكها إلاَّ بفعل القراءة والمطالعة.

فالآخر يخصّص في فلسفته ورؤيته للحضارة جزءًا هامًّا وقويًّا، مِنْ مواردِهِ الماليّة كإقامة المكتبات العموميّة، وتزويدها بأرقى أنواع الكتب والمجلّات والمخطوطات وكلّ صُنوف المعرفة لإدراكهم لقيمة المعرفة في الحياة الإنْسانيّة.

ف **(السندباد)** الجزائري، يَكْتشَفُ، يَجُولُ، يَصِفُ، يحلّل، يقَارنُ، والمميّز في **"جنائن الشّرق الملتهبة"** لَمْ يَكُنْ سَرْدًا لليوميات، ووصف للمدن فقط، بل كشف لَنا عَنْ ثقافة **(جوزيف بروز تيتو)** وولَعِهِ بالكُتّاب والشّعر، كمَا أماط اللّثام عَنْ حَيَاتِه وعلاقته بزوجته **(إيفانكا)**، وحُبّهِ الكبير للكتب لدرجة قراءة كلّ شيء، وتدوين ملاحظات حَوْل ذلك." **فِي قصر غراد زُرْتُ جزءًا مِنْ حَيَاتِه الحميميّة، خُصُوصًا مكتبته الشّخصيّة، يذكر المؤرّخون أنّ زعيم يوغسلافيا كان كلّ ما سمع عَنْ كتابٍ أو أحبّ كَاتبًا أَمَرَ بترجمتِهِ إلى لغة الصربو-كرواتية لغته الأمّ ولغة البلقان سابقًا**[2]

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص37.

تحدّث، أيْضًا عن زيارته للمكتبات هناك التِّي ذكّرته بمكتبات البريد المركزي، وفرحته الكبيرة عندما وَجَدَ كتابًا (**لِرَشيد مِيمُوني**) قائلاً: "**وجدتُ كاتبًا جزائريًّا مُنْدسًا بَيْن صفوف كتّاب عَالميين مُتَرْجمًا إلى السّلوفينيّة**[1].

وَمَا شدّ انتباه الرّحالة أيضًا المكتبات البسيطة التِّي تزخر بِهَا "كرواتيا"، والتي وتضمّ عَددًا كبيرًا من المراجع من مختلف القارّات، ممّا يؤكّد انفتاح الكرواتي على العالم، وعَدَم انغلاقه عَلَى نفسه.

3- التّماثيل والمحمول الثقافي:

على الرّغم منْ اعْتِيَاد "**الأنا**" على رؤية بعض التّماثيل المجسّمة لصورة العذراء –عليها السّلام والسّيد المسيح عليه السّلام، في الكنائس الشرقيّة إلاَّ أنَّ موقف الإسلام واضِحٌ مِنْ إنشاء التّماثيل، وصناعة مَالَهُ ظل، وبقيت "**الأنا**" مؤمنة بما أملته الشريعة الإسلاميّة.

لكن الأمم على اختلاف درجاتها الحضاريّة تتنافس عَلَى تخليد النّابغين والعظماء بإقَامة النُّصب والتّماثيل اعترافًا بأعمالهم، وتوريثًا لمكَانتهم عند الأجيال.

فمدينة لُيوبليانا الهادئة تحتفي بالشّعراء والفنّانين، إذْ تُوجد "**ساحة بريشارن**" التِّي تحتوي عَلَى تمثال الشّاعر (**فرانس بريشارن**) (1800-1849) يقول (**خطيبي**): "**جلستُ قَلِيلاً أسْفَل تمثال الشّاعر (بريشارن)، مؤلّف النّشيد الوطني**[2]، وَهُو يُعدَّ رمز للثّقافة السّلوفينيّة"**ويُعَدُّ يَوْم وَفَاتِهِ عِيدًا وإجازة مدفوعة الأجْر (الثّامن فيفري)، ويَوْم ميلادِه (الثّامن جوان) عِيدًا وطنيًا وقِطْعَة واحدة أورو تَحْمِل صورته**[3] تلك هِي خصْلَةُ السّلوفينيين، يَحْتَفُونَ بِمُثّقفيهم وأدبائهم، بَيْنَما نَحْتَفِي فِي بلاد العرب بذكرى الرّؤساء والزّعماء والدّيكتاتوريين، وتُرصّع مداخل المدارس والمطارَات والشّوارع بأسمائهم

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص27.

(2)المصدر نفسه، ص24.

(3) المصدر نفسه، ص28.

"يُحتفي بِهم في الحياة وبعد الممات ويُجعل مِنْهم رغم أنف التّاريخ أيقونَات تُنَغّص على المواطن العربي البسيط يوميّاته وتتّبعه في نومِهِ ويقظتِهِ"[1]

كَمَا تُعَدّ زغراب أيْضًا عَاصِمَة كرواتيّة من المدن التّاريخيّة الزّاخرَة بتماثيل أبْطالها ومشاهِيرهَا، **"إذْ يُوجَد بِهَا تِمثال (كرَالي تُومِيسلاف) مُمتطيًا حِصَانًا وحَامِلاً سيفًا، كَما لَوْ أنّه في حَالة حرب أو دفاع عن النّفس"**[2]وَهُوَ دُوق كرواتيَا مُنذ (910م)، ثمّ مَلكها ما بين عَامَي (925م-928م) **وتمثالا لأسقف (جوزيف بلا تشيش) المشبّه بميدان الحبيب بورقيبة في "تونس"، تُوجد بِهِ مَقْهَى لا تختلف كثيرًا عَنْ مَقَاهِي " جادة ديدوش مراد" بالجزائر العاصمة"**[3].

وتُعَدّ شخصيّة (**بلا تشيش**) رَمْزًا مِنْ رُموز المدينة يقول (**خطيبي**): **"جَلَسْتُ في مقهى ....أرتشِفُ القَهْوَة بِهُدوء، وأحَدّقُ فِي تِمثال "بلاَتشيش البرونزي" الذِي كَان يَمْتَطِي حِصَانًا"**[4].

وَهِيَ شخصيّة تاريخيّة اشتهرت بِحِكْمَتِهَا وحِنْكَتِها السيّاسيّة، لهُ نصوص شعْريّة ذات نزعَة قوميّة حماسيّة ويُشبِهُ تمثال (**الأمير عبد القادر**) وسط العاصمة الجزائريّة.

نستخلص مما سبق أنّ الآخر حاول من خلال إقامته للتماثيل تخليد زعمائه السّياسيين والعسكريين، دون أن يتجاهل كلّ صنّاع الفكر والثّقافة من علماء وكتُّاب وفلاسفة.

4- المسرح:

كان المسرح حاضِرًا كشكل من أشكال التّعبير الثّقافِي والاجتماعي والتّربوي ووسيلة من وسائل الاتصّال والتواصل مع النّفس وَمَعَ الآخرين في مختلف العصور والأزمنة، ويبقى المسرح يستقطب الجمهور الأكبر لما فِيه من احتكاك مباشر وملامسته لقضايا المجتمع **"فكرواتيا" تضمّ مسارح كبيرة**

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص29.

(2) المصدر نفسه، ص50.

(3) المصدر نفسه، ص51.

(4) المصدر نفسه، ص ن.

وتاريخيّة، تَحْمِل كلّها صفة "مسرح وطني"، لكن مسرح "زغراب" يحظى عَلَى خلاف غَيْرِهِ بمقام الحُظوة ويُنظر إلَيْهِ كرمز ثابت مِنْ رُمُوز الدّولة"[1].

إذا كان المسرح العربي يرتبط بإشكاليّة النّشأة والظّهور، فإنّ مسرح **"الآخر"** ومع بداياته، قد ارتبط بالحياة الثّقافيّة والاجتماعيّة والسيّاسيّة، فعالم "الآخر وفضاؤه الثّقافي والاجتماعيّ، يساوي بين المرافق الضروريّة والأساسيّة كالمدارس والمستشفيات والطّرقات وبين المرافق الثقافيّة التي دونها يقع الاختلال والتوازن فالاستمراريّة الحضاريّة تستوجب وجود فضاء مسرحي تُعرض فيه الأنشطة المختلفة.

رَابعًا: القضايا الدّينيّة

– دور العبادة:

حين انطلقت الأنا من فضائها العربيّ الإسلاميّ في أغلبه كان المؤذن يصدح بالآذان خمس مرّات في اليوم واللّيلة، فالأجواء العقائديّة الإيمانيةّ مظهر مُسيطر وغالب على الفضاء المحلّي، وعندما حلَّت "الأنا" بالمحيط العام للغرب" التصقت بفكرها وذاكرتها انتماء الغرب إلى الدَيانة المسيحية بجميع طوائفها".[2]

فمن أديان الشرق وتنوّعها إلى أديان الغرب نتفق على حسن وجمال هندسة الكنائس، فهي مثار اهتمام وعي "الأنا"، فهذه الكنائس تقع في أغلبها في أماكن مرتفعة جميلة الموقع .

استوجبت زيارة خطيبي لمدينة زغراب، الوقوف عند معلمها الدّيني: كاتدرائية "سان ستيفان"* الواقعة بأعالي المدينة بحي كابتول "**هي لون من ألوان الهويّة القوميّة وملمح بارز في تفاصيل**

(1)سعيدّ خطيبي، **الرّحلة**، ص70.

(2) انظر مكي سعد الله: **الأنا والآخر في أدب الرّحلة، دراسة نقدية مقارنة**، م س، ص 364.

العاصمة الكرواتية"[1]، إذ يظهر كرمز من رموز الانتماء الدَيني. وإذا قارنّا بين المسجد والكنيسة نلحظ الفروق الجوهرية بين زينة المكانين المخصّصين للعبادة وأداء الصلوات.

في بلاد الصقالبة تسير على طريق غير مُعبّد، وتقابلك مساجد شاهقة بُنيت بدعم عربيّ، قابلها المسيحيّون بكنائس أيضا كحوار اثني وصراع عقائدي قد يكون أزليًا.

فهذه منارة المسجد السّني، وجرس الكنيسة الأرثدوكسية المتقابلين، لم يتصالح أحدهما مع الآخر لكنّهما لم يمنعا الأهالي من تنفّس لذَة العيش وخوض تجارب حياتيةّ جديدة، ولكن هذا ربّما يدفعنا إلى التساؤل عن هذا التّقابل بين دور العبادة المُعتادة في بعض مناطق العالم العربيّ وربمّا غيره أيضًا، هل هو نوع من التعّايش وقبول للآخر، والعيش المشترك؟ أم أنّه سباق نحو حيازة المكان والاستحواذ على الفراغّ؟

فبناء يناظره بناء أو يمنع استقطابه وحده بحيزه، وعليه نتّفق على أنَ هذه المعابد من الآثار الإنسانيةّ الخالدة بنظافتها، وهندستها الجميلة.

2- حريّة المعتقد:

أ- الإسلام:

يمكن أن يتلمّس الباحث في هذه الناحيّة أشياء كثيرة عن حقيقة المجتمع البلقاني، ومدى تفاعله مع المختلف دينيّا خصوصا المسلم، ويتجلّى ذلك في وصف خطيبي للمسجد ودوره.

---

* كاتدرائية سان ستيفان تم انشاءها في القرن (11 ميلادي 1093)، هدمها التتار سنة 1242 ميلادي، وأعيد بناؤها بهدف مواجهة الغزو العثماني والمد الإسلامي، حيث حُوِّطت ببرج مراقبة عسكري، ولكنّها تهاوت مرةّ أخرى سنة 1880بسبب هزّة أرضيةّ، وأُعيد بناؤها وفق نظرة فنيةّ حضاريةّ معُاصرة zagreb ww. com.

(1)سعيد خطيبي، **الرحلة**، ص 62.

من بين جملة تلك المساجد نجد مسجد "زغراب " على سبيل المثال لا الحصر، حيث يقول فيه:" **تبدو صومعة المسجد البيضاء وقِبابها الخضراء والذي كان في الحقيقة مركزا إسلاميا متكاملا، يضم مسجدا ومركزا لتدريس العربيّة وعلوم القرآن..... فالمسجد يقوم بدور محوري في تنظيم حياتهم اليوميّة وفي رسم معالم حضورهم... وفق التّعاليم الشرعيّة**"[1].

يتبيّن لنا من خلال وصف خطيبي لهذا المسجد، سواء من الناحية العمرانية أو من ناحية الدَّور المنوط به، أنّ المجتمع الكرواتي متقبّل للمختلف عنه، ويشكّل معه مجتمعا متماسكا.

ويقول في وصفه لمسجد آخر:" **ففي زيارة إلى مسجد سلطان فاتحوف (أو الشيخ المغاربي) وقت صلاة الظهر واجهنا التاريخ بعراقته، المسجد بُني أيّام الباي عيسى، ومنتصف القرن الخامس عشر ميلادي... في حالة من التنظيم الخلاَق، دونما تجاوزات أو إشكالات**"[2].

نستشّف من خلال ما سبق أنّ سعيد خطيبي جمع بين الوصف المادّي والمعنوي للمسجد ليبيّن لنا دوره في المجتمع البلقاني، فهو بمثابة الشّرطي المُنظّم لحياة الفئة المُسلِمة .

ب– المسيحية:

رصد لنا سعيد خطيبي في هذا الصدد جملة من الأماكن التي تمثّل الدَيانة المسيحيّة، ولقد اتّسم تصويره بكثير من الأمانة فصوَر تلك الأماكن من النّاحية الشّكليّة ومن بعض الجوانب الأخرى، فالكنائس" **تجسيد لصورة الدَين وقيمته ومدى العناية والاهتمام به كما أنّه تمثيل للهويّة الدّينيةّ، وانعكاس للبُعد الروحي للمجتمع**"[3]، ولا يخلو أي فضاء غربي من وجود كنائس متشابهة في عظمة بنائها، فالمعابد موجودة في أعرق المدن المسيحيّة على غرار الكنيسة " **النيوقوطية التّاريخية ... أول**

(1) سعيد خطيبي **الرحلة**، ص 66-67.

(2)المصدر نفسه، ص 87.

(3) مكي سعد الله، **الأنا والآخر في أدب الحَلة، دراسة قدية مقارنة**، م س، ص 382.

ما يواجه الزائر على الجزيرة هو درج طويل يصعد إلى الأعلى... ويدقّان معا جرسهما إعلانا عن ارتباطهما الأبدي... بعدما تحوّلت مع محيطها العام الى نقطة جذب سياحي لا ديني"[1].

من الملامح القليلة التي يذكر لنا فيها عادات وتقاليد المجتمع البلقاني وصفه لكاتدرائية سان ميشال الواقعة بالقرب من السفارة الفرنسية" **كان الوقت زوالا... واليوم الأحد وفي الداخل عروسان يحتفلان بزفافهما... وأدعية متصاعدة من جنبات الكاتدرائية الأربع**"[2].

من خلال هذا الوصف حول الأماكن التّاريخية والدّينية نجد " **أنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسيّة فحسب فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكلّ ما في الخيال من تحيّز إنّنا ننجذب نحوه لأنّه يكشف الوجود في حدود تتّسم بالجمالية.**[3]

إذن الصّور التي نقلها سعيد خطيبي تتجاوز حدود المكان الهندسي مرورا إلى الوجودي، حيث ترى صورة المجتمع من نواحي مختلفة ماينعكس بالضّرورة على إيجابية المجتمع الموصوف.

نستخلص مما سبق أنّ المجتمع البلقاني متقبّل للمختلف عنه، ويشكّل معه مجتمع متجانس متماسك .

خامسًا: إيجابيات المجتمع البلقاني وسلبياته

1- الإيجابيات:

يتسّم المجتمع البلقاني بمختلف الدّول المشكلة لكيانِهِ مِنْ خلال الصّور التِّي قدّمها (**خطيبي**) بجملة من الصّفات التِي تجمع بين الإيجابيّة والسّلبيةّ، فأمّا على المستوى الإيجابي فنجد بأنّه مجتمع محافظ من عدّة نواحِي أهمّها:

(1) سعيد خطيبي **الرحلة**، ص 32،33،34.

(2)المصدر نفسه، ص 111.

(3)باشلار غاستون، **جماليات المكان**، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 1984، ص 31.

النّاحية الأخلاقيّة، كما ورد في قوله: "**كان بعض السيّاح قَدْ بَدَأوا في التَحلُّق في مجموعات، والنّزول إلى الماء، جماعة جماعة، مطمئنّين حول أغراضهم الشّخصيّة، والموضوعيّة عَلَى الضّفّة غير قلقين مِنْ إمكانيّة سرقة حاجياتهم، كما يحدث أحيانًا في شواطئ الجزائر**"[1] ولا مشادّات ولا أمور مخلّة بالحياء عَلَى خِلاف ما نراهُ في شواطئ مدن أوروبيّة أخرى.

مِنَ الصّور الإيجابيّة الأولى التّي رَصَدها لنَا (**سعيد خطيبي**) هو الأمن المنتشر بكثرة بيْن أفراد المجتمع، دُونما حاجة لشرطة تضبط أو توجّه سلوكهم وفي ذات السّياق نلمس حِشمة السّلوفيني وتشابه شخصيته مع الفرد العربي والجزائري في قوله: " **تبدوا الحشمة عُنْصُرًا مهمًا في سلوك السلوفينيين والسّلوفينيات، فالنّسوَة يسترن أجسادهن ما أمكن قبل النّزول إلى الماء**"[2] كما لا نجد هناك شواطئ لسباحة العرُاة فالبلد يصِّر عَلَى التمسّك بالتّعاليم الكاثوليكية الموروثة عن الأجداد، وهَذَا لا يقتصر على جانب معيّن من الحياة بل يمسّ جميع الجوانب الممكنة، عَلَى غرار الممارسات اليوميّة كالبيع والشراء، مثلما نلمسه في قَوْلِهِ: "**كان يجتمع باعَة الخضر والملابس والأغراضِ المنزليّة فِي سُوق شعبيّة صغيرة مفتوحة على الهواء الطّلق، تَلْتئم في السّادسة صَبَاحًا، وتنقضِي في حدود الرّابعة بَعْدَ الزوال، ولَمَّا يُغادِرُ البّاعة المكان فَلَنْ نجدَ وراءهم بقايا مرورهم، ولا أكوام قمامات...**" **التجارة تخضع لمعايير تنظيميّة صارمة، والعمليّة تتمّ في ظروف نظيفة وصحيّة، بشكل يُحافظ عَلَى الوجه الحسن لوسط البلاد**"[3]، فنجد مِنْ خلال مَا سبق بأنّ السّلوك المحافظ بمختلف معانيه يظهر في جميع الميادين التي تضبط، وتنظّم سَيْر المجْتَمع.

(1)سعيد خطيبي، **الرّحلة** ، ص32.

(2) المصدر نفسه، ص34.

(3) المصدر نفسه، ص55-56.

2- السّلبيات:

أ) التّفاوت الاجتماعِي:

نَلْمَس في المقابل بعض الصّور غير الإيجابيّة مِنْ ناحيّة الممارسات الاجتماعيّة، ولعلّ أبرزها يتمثّل في التّفاوت الاجتماعي بين قلب المدن وضَوَاحِيها؛ حيث يقول: **"الصّور التِّي نعْرِفها عَنْ قلب زغرب السّياحي النّابض ليست نفسها التِّي نَرَاهَا في شوارع المدينة والأزقة الخلفيّة الفارق بين الوَسَط والضّاحيّة شاسع، ونمطا الحياة والمعمار مختلفان أيضًا**[1]، نلمس من خلال هَذَا القول التّفاوت بين قلب المدينة الذّي يُعتبر القلب النّابض وفي المقابل إهمال كبير لباقي أجزاء المدينة مِنْ جميع النَواحِي، بالأخصّ النّمط المعماري – ولا تُعدّ هذِهِ الخاصيّة حِكْرًا عَلَى مدينة دون سِواهَا بل نجدها في عديد المدن، عَلَى غرار مَا يُوضّحُه في قَولِهِ وَهُوَ يصف مدينة سراييفو يقول: **"خلف أسوار وسط المدينة تبدأ معالم الوجه الآخر مِنْ سراييفو حياة بسيطة فقيرة صعبة تعتمد عَلَى الزّاد القليل للاستمرار في الوجود ورَاء الوجه المُنمّق للمركز، يُغرق الهامش في تناقضات معيشيّة عميقة، فمتوسط الدّخل لا يتجاوز ثلاثمائة أورو وفرص الشّغل والتّفكير في تأسيس حياة مستقلّة... "للشّباب هي طموحات غير متوفّرة، وإمكانيات التغيير ليست مُتاحة"**[2]، نستشفّ من هذا القول أن دول البلقان رغم أروبيتها فإنها تعاني أزمات اجتماعية مثلها مثل دول العالم الثالث.

ب) الفوضَى والعبثيّة:

يتجلّى مِنْ خلال قوله: **"صوب المدينة العتيقة starigrad، مُرورًا بمحطّة القطارات والميناء القديم، الواقع على ضفاف نهر الصّافا، وبمحطة البنزين حيث التقطت عيني صورة شابّة عشرينيّة يافعة، وَهِيَ تُحاول تنظيم زَحمة سيّارات متدافعة للظّفر بِنَصِيبها من البنزين بأَسْرَع**

(1)سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص65.

(2) المصدر نفسه، ص87.

وقت... الفَوْضَى المُنظّمة، صُرَاخ، أصْوات أبواق سيارَات، وحافلات، أُناس يَرْكُضُون، رِجَالٌ ونساء يعْبرون الطّريق مِنْ غيْر ممرّ المُشاة"[1].

ومنْ ضمن الممارسات غير الأخلاقيّة التّي تَصُبُّ في إطار الفَوْضى والعبثيّة المنتشرة في أوساط المجتمع البلقاني نجد انتشار الرّشوة التّي تنخر وتُثقل كاهل المجتمع، وممَّا يَدُل عَلَى ذلك قوله: **"الوضع أيّام الرّئيس الأسبق (يانكوفيتش) 1950م كان بحسب شهادات مَنْ التقيتهم جدّ سيّء والممارسات اللاقّانونيّة كانت تنخر جسد البلد، كُلّ إجراء إداري عَادِي كان يَسْتَوجب عَلَى المواطن دفع مقابل مَادِّي يكون أحْيانًا باهِضًا ...والعلاج في المؤسسات الاستشفائيّة كان من المفروض أنْ يقُدّم خدمات مجانيّة، يلزم المواطن دفع رشاوي مقابل الحُصُول عَلَى مَوْعد فحص**[2]".

ومِنْ خلال هَذَا القول نجد بأنّ الممارسات غير الأخلاقية لا تنبع مِنْ طبيعة المجتمع البلقاني ولكنها سلوكيات طارئة وجديدة عَلَيْهِ، فرضتها طبيعة الحياة التي يعيشها.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة** ، ص110-111.

(2) المصدر نفسه، ص133.

خاتمـــــــة

في ختام بحثنا يمكننا القول إنّ رحلة (جنائن الشّرق الملتهبة، رحلة إلى بلاد الصّقالبة)، سرد رحلي ممتع ومتنّوع جَمَعَ بين خطابات سرديّة ومعرفيّة متعدّدة، فهو مزيج بين ارتحالات السّرد، واستحْضار موضوعات التّاريخ والجغرافيا والسّياسة، وصراع الأقليات، وتعدّد الإثنيات فِي العالم. فهو نصّ رحليّ غير ثابت لأنه ربط بين جغرافية المكان بمحمولاتها الدّلاليّة المختلفة، وتأثيرها فِي نفسيّة الرّحالة، والمتلقي على حدّ سواء.

ومن خلال غوصنا في هذه الرّحلة حددنا أهم النتائج الّتِي تمَّ التوصل إليْها، والّتِي نحصرها فِي النّقاط الآتية:

يبحث الرّحالة عَنْ نفسه من خلال الآخر وكيف ينظر إليه، أي يبحث عن ذاته في مرآة الآخر.

اختيار (**سعيد خطيبي**) لبلاد الصقالبة للتشابه بينها وبين المنطقة العربيّة، ولأنّها تعيش نفس الصّراعات الدّينية والإثنيّة والطائفيةّ، وهناك أيضًا تشابه كبير فِي صداقاتهم ومحبّتهم فِي فرحهم، فِي عاداتهم وتقاليدهم مع المنطقة العربيةّ.

اهتم الرّحالة (**سعيد خطيبي**) بالمدن والسّاحات والكنائس والقلاع القديمة التي عِنْدها تاريخ، فوجد هناك خيط مشترك يعيدنا إلى شمال إفريقيا.

تظهر المحافظة على اللّغة الأمّ من خلال العمل على الاحتفاء بكبار اللغويين، وفِي الوقت ذاته ترجمت مختلف الأعمال للّغة الأم، فاللّغة تشكّل فِي ضوء الفعل الثقافِي لَبِنة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها بأي شكل من الأشكال فِي بناء الهويّة البلقانية.

يُعدُّ فعل الترجمة أحد أهمّ المرتكزات الثقافيّة الّتِي يقوم عَلَيْها الصّرح الثّقافِي فِي دول البلقان.

المجتمع البلقاني مجتمع محافظ متمسّك بكلّ ما يمكن أن يشي بثقافته وقوميتّه التاريخيّة، وأيضًا محافظ من الناحية الأخلاقيةّ، فهو مجتمع معتدل فِي أغلب سلوكاته.

المجتمع البلقاني مُتقبّل للمختلف عَنْهُ بشكل كبير، ويُشكِل مَعَهُ مجتمعًا متماشِيًا ينصهر تحت مظلّة الكيان الواحد.

بفضل الاطلاع الوَاسع (**لسعيد خطيبي**) ومعرفته بتاريخ المنطقة جاءت رحلته طافحة بفيض من المعلومات الكثيرة الّتِي قدّمها عنها اقتصاديًا وسياسيًّا وثقافيًّا.

لم تستطع "**الأنا**" أن تتخلّص من المقارنة بين ما تراه وتُعَانيه، وبين ما تركته فِي فَضائها ومحيطها الخاص، سلبًا وإيجابًا.

لَمْ تكتف "**الأنا**" العربية بالالتزام بالوظيفة المنُوطة بهَا والّتِي سَافرت من أجْلها خاصّة فِي الرّحلات السّفارية، بل تجاوزت مهامها الرّسميّة والإداريّة مع الحفاظ على الشّعور الوطني والقومي الّذِي لم يفارق الذّات العربيّة، وكان دَافعًا لها لاكتشاف أسرار الآخر.

اتسم نص الرّحلة بجرأة واضحة فِي نَقْل كل ما هو سلبي وإيجابي.

محوريّة اللّغة فِي تكوين الهويّة لَدَى كل من العرب والسّلاف على اختلاف دولهم المستّقلّة، حيث كان الدّفاع عن مكوّن اللّغة في البلاد السّلافيّة بمثابة الدّفاع عن الأرض والتاريخ والحق في الاستمرار.

الرّحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراءً لفكره وتأملاته عن نفسه وعَن الآخرين.

أسلوب الكتابة في أدب الرّحلة يتّسم بطابع العصر، وينعكس عليْه ما ينعكس على أسلوب النثر فِي العصر الذِي كتب فيه.

المميّز في جنائن الشرق الملتهبة، لم يكن سردًا لليوميآت، ووصفًا للعمران فقط، بل هِي تحليل للوضع السّياسي لدول البلقان من الحقبة العثمانية إلى سنة 2014 (ثورة الميدان).

أحيا (**سعيد خطيبي**) جنسًا أدبيًا مهجورًا، وعبّد طريقًا للقادمين بَعْدَهُ كيْ يسيروا عَلَى خُطَاه، ويوثقوا للمدن التي يزورونها، إذْ سيفتح شهيّة كلّ من يرغب فِي تدوين رحلته.

الملحـــق

التّعريف بالرّحالة والرّحلة:

أوّلا/ التّرجمة لحياة سعيد خطيبي :

هو سعيد خطيبي كاتب وروائي وصحفي جزائري. من مواليد 29 ديسمبر 1984ببوسعادة (الجزائر)، درس في الجزائر وفرنسا، نال شهادة اللّيسانس في الأدب الفرنسي من الجامعة الجزائريّة، وشهادة الماجستير في الدّراسات الثّقافية من جامعة السوّربون (بفرنسا).

يعمل في الصّحافة منذ 2006 م، أتّم دراساته العُليا في السّوسيولوجيا، في جامعة السوربون عام 2011 م ، يكتب باللّغتين العربيّة والفرنسيّة، ويُقيم ويعمل حاليا في سلوفينيا.

عمل في جريدة "الجزائر نيوز"، حيث ساهم لمدّة سنتين في تحرير المُلحق الثّقافي "الأثر"، ثمّ انتقل إلى جريدة الخبر، وأشرف لسنوات على إدارة تحرير مجلّة الدّوحة الثّقافيّة[1]، واستقال منها عام 2016، اشتهر بتغطية مناطق النّزاعات في إفريقيا، وأوروبا الشّرقيّة.

من أشهر مؤلّفاته :

- بعيدا عن نجمة 2009 م (ترجمات شعرية لكاتب ياسين) .
- ترجمة لقاموس السينما الإفريقية .
- مدار الغياب (ترجمة لقصص جزائرية باللغة الفرنسية 2009).
- أعراس النّار: قصة الراي 2010 م .
- عَبَرْتُ المساء حافيا: حِوارات مع أشهر الرّوائيين 2011 م باللّغة الفرنسيّة .

(1) حمزة عمارة، محمد سرير، **السرد الرّحلي وتمثلات صورة الآخر في "جنائن الشرق الملتهبة رحلة في بلاد الصّقالبة "لسعيد خطيبي"**، مجلة المدونة ، البليدة ، المجلد 10 ، ع1، ماي 2023، ص993.

- كتاب الخطايا (رواية) 2013 م .

- جنائن الشرق الملتهبة: رحلة في بلاد الصقالبة: (كتاب رحلات في دول البلقان 2015

- أربعون عاما في انتظار إيزابيل (رواية2016 م) .

- رواية حطب سراييفو 2008 م .

- رواية نهاية الصّحراء 2023 م .

أثرى سعيد خطيبي خلال مسيرته الإبداعية الحافلة المكتبة العربيّة بعدد من الأعمال الأدبيةّ، وحاز على العديد من الجوائز؛ نذكر منها:

- جائزة الصّحافة العربيةّ عام 2012 م .

- جائزة ابن بطوطة لأدب الرّحلة 2015 م .

- جائزة الشيخ زاد للكتاب، في فئة المؤلّف الشّاب عن روايته نهاية الصّحراء 2023 م .

- جائزة كتارا للرواية العربيّة (فئة الروايات المنشورة)لعام 2017 م عن رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل" .

وعلى الرُّغم من قِلّة ما صدر له من أعمال روائيّة فإنّه لفت النّظر إليه باعتباره أحد أكثر الأصوات الموهوبة من الجيل الجديد في المشهد الثقافي الجزائري [1].

(1) لقاء صحفي، معرض أبوظبي الدّولي للكتاب، 28 ماي 2023 م .
com.Watch,youtube

ثانيا/ ملخص الرّحلة:

طاف سعيد خطيبي العواصم والدّول والبُلدان بنَفَس سندبادي مُغامر، فأخذ في الانتقال من مكان إلى آخر ليُدوّن ما رآه في سفره.

إذْ سمح للقارئ القَابِع في مكانه بأن يكتشف تفاصيل جديدة عن دول وشعوب من شرق الأرض إلى غربها في كتابه "**جنائن الشرق الملتهبة – رحلة إلى بلاد الصقالبة** –"، وهو ليس ثمرة ثلاثة أسابيع من رحلته نحو دول البلقان، بل هو محصول الطّالب الذي جدّ وتعِب، والباحث المُثابر، والصّحفي المحترف، والرّوائي ذو النَّفَس الطّويل، والمُحلِّل السّياسي الذي يَعلمُ خبايا السّياسة .

بِعَيْن الرّوائي الرّاصد لكلّ التّفاصيل، المُنتقي للأحداث والجُزئيات، وبروح الصّحفي المحترف ذو الخبرة يسرِد" **سعيد خطيبي** " رحلته مُتجوّلا وعابرا بالسّيارة بَرّاً في أرض الصّقالبة(الملقّبون بالسّْلاف) بين عِدَّة مُدُن، وعَبَر الحدود بحثا عن الملامح الحقيقيّة لدول تجمع بينها الجغرافيا، وتفرّقها الصّدامات الدّينيّة والإثنية، ثمّ طار إلى أوكرانيا أيّام ثورة الميدان، وعاش من الدّاخل يوميّات مُتقلّبة حيث التّاريخ لا يَمَّل من تكرار نفسه وبالطرّق نفسها: بالنّار والدّم .

كانت عُدّة السّفر جِدُّ بسيطة، حقيبة ظهر صغيرة وَضع فيها بعض الملابس الضّرورية، كاميرا رقمية، دفتر ملاحظات، خرائط حديثة للطّرقات، ومواقع محطاّت البنزين، وقواميس جَيْب للمُحادثة السّريعة بلُغات الدّول التي زارها[1] التي وجد لاحقا، أنها تشترك مع بعضها البعض في كثير من المصطلحات كلمة دويردان (DOBERDAN) مثلا تعني صباح الخير، أو مرحبًا تقال في الصُّبح وبعد الظُّهر في كلّ دول يوغسلافيا سابقا[2] وفيما يتصل بالعُدة المعرفيّة التي تسلّح بها ليقوم

(1) سعيد خطيبي، الرّحلة، ص17.

(2) المصدر نفسه، ص13-14.

برحلته في أرض الصقالبة يقول خطيبي "**عُدّتي المعنويّة كانت أثقل من المادّية قليلا** "[1]، خصوصا القراءات التي تسلّح بها قبل وفي أثناء وبعد الرّحلة، لأهمّ كُتّاب البلقان وأوكرانيا، المُترجمَين إلى الفرنسية مع الاطلاع على بعض ما كتبه الفرنسيون والعرب عن منطقة السْلاف، كما اطّلع على رسالة ابن فضلان التي كتبها عام 921 م. التي يذكر فيها، أنّ المسلمين كانوا يجلِبون كثيرا من السّلع من جنوبي روسيا، والبُلدان الأوروبية الشّمالية، ثم يتوقّف عند الميزات المُشتركة التي تجمع بلاد العرب وبلاد الصّقالبة على ضوء ما لاحظه خلال رحلته .

نقل خطيبي صورا وانطباعات وملاحظات التقطها بالعين والفكر والحواس معًا، وهو يكتب بلغة راقية، يتّسم وصفه وملاحظاته بالدّقة والذّكاء، وتحمل لغته ملامح من ميول الرّحالة القُدماء، لكنّها أبدا تظلُّ أمينة لانفعالات اللّحظة، وتحاول أن تعيد صياغة الأسئلة بوحي من التّوق إلى استكشاف عوالم البشر في أمكنتهم [2]، وتَتَبُّع الأحوال والمصائِر الإنسانية من خلال جوانب ظليلة وبعيدة عن المُسلّم به من الأخبار كما يُعرِّف القارئ العربيّ بمدن أوربيّة شرقيّة، وبعض ملامح أهلها بالإضافة إلى معلومات عن بعض معالمها وقادتها وأُدبائها بلغة جميلة وسرد مُمتع.

(1) سعيد خطيبي، **الرّحلة**، ص14.

(2) المصدر نفسه، ص15.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر:

1-سعيد خطيبي، جنائن الشرق الملتهبة، رحلة في بلاد الصّقالبة، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 2015.

ثانيا: المـراجـــع:

أ –المراجع باللّغة العربيّة:

1- إبراهيم خليل الشّبلي، الذّات والآخر في الرّوايةالسّوريّة، دار فضاءات، سوريا، ط1، 2019.

2- أحمد عبد الحليم عطيّة، جدل الانا والآخر، قراءات نقديّة في فكر حسن حنفي، مكتبة مدبولي الصّغير للنّشر، مصر، المواحدية،ط1، 1997. (د.ط)، 1995.

3- بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1884، مج 8

4- سعد البازعي، الاختلاف الثّقافي وثقافة الآخر، المركز الثّقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط1، 2008.

5- سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الادب الجزائري، دراسة في النّشأة والتطوّر والبنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2009.

6- سيزا قاسم، بناء الرّواية، دراسة مقارنة في ثلاثيّة نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، (د.ط)،2004.

7- شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل، رؤية للنّشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

8- علي حرب، خطاب الهويّة، سيرة فكرية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.

9- عمر بن قينة، اتجاهات الرّحالين الجزائريين في الرّحلة العربيّة الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر(بن عكنون)، (د.ط)، 1995.

10 –عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وإعلاما، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر (بن عكنون)، (د.ط)، 1995.

11 – عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثّقافة الجزائرية، دراسة من منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1999.

12–أبو القاسم سعدالله، تجارب في الأدب والرّحلة (رحلتي إلى المغرب)، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،(د.ط)، 1983.

13–أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ج2.

14–مصلح النّجار وآخرون، الدّراسات الثّقافيّة والدّراسات مابعد الكولونياليّة، جامعة الأهليّة، الأردن، ط1، 2008.

15–ناصر عبد الرزّاق الموافي، الرّحلة في الادب العربي حتّى نهاية القرن الرّابع، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995.

ب– المراجع المترجمة:

1–ألكس ميكشللي، الهويّة، تر: علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، ط1، 1993.

2–أمين معلوف، الهويّات القاتلة، تر:نبيل محسن، دار الحصاد، دمشق، ط1، 1999.

3–باشلار غاستون جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسّسة الجامعة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 1984.

ثالثـــا: المعـــاجـــم:

1–إبراهيم مصطفى آخرون، معجم الوسيط، المكتبة الاسلاميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تركيا، 1972،ج1.

2–الجوهري، معجم الصّحاح، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008.

3-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1979 .

4-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1985.

5-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، الرّسالة، لبنان، (د.ط)، 2005.

6-مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

7-محمد الجرجاني، معجم التّعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

8-مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط28، 2000.

9-ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، مج3، ج18.

رابعـــا: المجلاّت والدّراسات:

1-إبراهيم شرايطيّة، سلطان الأنا وصورة الآخر في رحلة ابن جبير، مجلةّ الأثر، جامعة القيروان، تونس، ع/30، جوان 2018.

2-أحمد دهلي، نعار محمد، صورة الآخر البلقاني في رحلة سعيد خطيبي المسمّاة جنائن الشّرق الملتهبة، رحلة في بلاد الصّقالبة، دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، المجلّد05، ع02، 2021.

3-بوشعيب السآّوري، "جنائن الشرق الملتهبة" سفر الذّات عبر مدائن الآخر، مجلة العرب، العدد10، صدرت يوم الأربعاء 25 /2016/05.

4-حمزة عمارة، محمد سرير، السّرد الرّحلي وتمثّلات صورة الآخر في جنائن الشّرق الملتهبة، رحلة في بلاد الصّقالبة، سعيد خطيبي أنموذجا، المدّونة، البليدة، المجلّد 10، ع01، ماي 2023.

5-راوية شاوي، وصف المدن في أدب الرحلة الجزائرية المعاصرة، جنائن الشرق الملتهبة رحلة في بلاد الصقلية لسعيد خطيبي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر.

6-سميّة محنش، جمالية المراوغة والتّوظيف الضّمائري للأنا والآخر عبر اللّغة الشّعريّة، دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع/29، ديسمبر 2017.

7-محمود العشيري، عين على الصّقالبة عين على الذّات، قراءة في رحلة جنائن الشّرق الملتهبة، رحلة لبلاد الصقالبة، 2017

Geargetawnuniversitg –gatar-feyoum .university .egypt

خامسا: الرّسائل الجامعية:

1-مكي سعدالله، الانا والآخر في أدب الرّحلة- دراسة نقديّة مقارنة-، أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، جامعة باتنة، 2017/2016.

سادسا: المواقع الإلكترونيّة:

1-حسن هيثم، سعيد خطيبي، رحلة في جنائن الشّرق الملتهبة، أخبار ثقافة، الجزيرة نت

http://culture.www.aljazera.net/author/hacenheythem

2-لقاء صحفي، معرض أبوظبي الدّولي للكتاب، 28 ماي 2023 م .

Watch,youtube.com

zagreb ww.com

فهرس المحتويـات

المحتوى	الصّفحة
شكـر وتقديـر	
مقدّمـة	أ-د
الفصل الأولّ: مفاهيم ومصطلحات عامة	
أولا:مفهوم الرّحلــة	2
1- لغة	4-2
2- اصطلاحا	6-4
ثانيا: مفهوم أدب الرّحلـة	8-6
ثالثا: أدب الرّحلة عند الجزائريين خلال العصر الحديث	11-8
رابعا: مفهوم الهويّــة	11
1- لغة	12
2- اصطلاحـا	14-12
خامسا: مفهوم الآخــر	14
1-لغـة	15
2-اصطلاحـا	17-15
سادسا:العلاقة بين الانا والآخر	19-17
الفصل الثّاني : تمثّلات الهويّة في رحلة سعيد خطيبي"جنائن الشّرق الملتهبة"	
أوّلا: الذّات المثقّفـة	25-21

ثانيا: الذّات والطّفولــة	27-25
ثالثا: الذّات المرتحلــة	30-27
رابعا: الذّات والوطــن	34-30
خامسا: الذّات الاجتماعيّــة	36-34
الفصل الثّالث: صورة الآخر في جنائن الشّرق الملتهبة" رحلة في بلاد الصّقالبة	
أوّلا: القضايا العمرانيّة	39
1-وصف المدن	41-39
2-الجسور	41
3- المتاحــف	41
4- الحدائــق	43
5- الجغرافيا والطّبيعة	44-43
ثانيا: القضايا التاريخيّة	44
1-القصور والقلاع	45-44
2- تحوّلات تاريخيّة	47-45
3- تجاور الحياة والموت	48-47
ثالثا: القضايا الثّقافيّة	48
1- الأدباء والمراكز الثّقافيّة	49-48
2- القراءة والمكتبات	50-49

3- التّماثيل والمحمول الثّقافي	51-50
4- المسرح	52-51
رابعا: القضايا الدّينيّة	52
1-دور العبادة	53-52
2- حريّة المعتقد	53
أ-الإسلام	54-53
ب-المسيحيّة	55-54
خامسا: إيجابيّات المجتمع البلقاني وسلبيّاته	55
1-الإيجابيّات	56-55
2- السّلبيّات	57
أ-التّفاوت الاجتماعي	57
ب -الفوضى العبثيّة	58-57
الخاتمة	62-60
الملحق	64
أوّلا: التّعريف بالرّحالة	65-64
ثانيا: ملخّص الرّحلة	67-66
قائمة المصادر والمراجع	72-69
فهرس الموضوعات	77-74

ملخّص المذكّرة	

ملخّص الدّراسة:

يُعدّ أدب الرّحلة من المواضيع الّتي استحوذت على اهتمام كثير من الكُتّاب، ويَكْمن سرّ الاهتمام به في معالجة قضيّة حبّ التّطلّع، والفضول ونزعة المقارنات التي سيطرت على العقل البشريّ.

فالكاتب العربيّ يسافر خلف الحدود لَيْس من أجل التلصصّ على حياة شعوب أخرى، بَلْ كَيْ ينظر من خلالها إلى نفسه، لأنّ صورته لَنْ تكتمل دون أن ينظر إليها من هناك بعين الآخر.

فلولا هَذَا الفنّ لضاعت العديد من الموروثات، ولضاعت هويّة العديد من الشّعوب.

استطاع **سعيد خطيبي** من خلال رحلته "**جنائن الشّرق الملتهبة**" أن يقرّب المكان من ذهن القارئ، ويبرز الاختلاف والتّصادم، والتّقارب أيضا بين الأنا والآخر، حيث رصد المشترك بين هذه الثّنائية والمتمثّل في خضوع هذه البلدان للحكم العثماني، وانعكاسات ذلك على اللّغة والهويّة والعادات والثقافة بشكل عام.

الكلمات المفتاحية:

أدب الرّحلة، الآخر، الهويّة، التّشابه، الاختلاف.

Abstract:

The literature of the journey is one of the topics that has captured the attention of many writers, and the secret of interest in it lies in addressing the issue of aspiration love, curiosity and propensity for comparisons that have dominated the human mind.

The Arab writer travels beyond the borders not in order to spy on the lives of other peoples, but to look through them at himself, because his picture will not be complete without looking at it from there with the other's eye. Without this art, many legacies would have been lost, and the identity of many peoples would have been lost.

Said Khatibi, through his journey "the fiery gardens of the East", was able to bring the place closer to the reader's mind, highlighting the difference and collision, and also the closeness between the ego and the other, where he observed the commonality between this duality, represented by the subjection of these countries to Ottoman rule, and the implications of this on language, identity, Customs and culture in general.

Keywords:

literature of the journey, other, identity, similarity, difference.